

بحث في الخلافات الزوجيّة وسُبُل علاجها
في ضوء الإسلام



تأليف

إبراهيم بن شهاب الخالدي

دار الأعلام

سَلَامُ البَيْتِ

بَحْثٌ في الخلافات الزوجية وسُبُل علاجها
في ضوء الإسلام

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/١٢/٢٩٩٤)

٢٦٥,٣

الخالدي ، إبراهيم بدر شهاب

سلام البيت/ إبراهيم بدر شهاب الخالدي .- عمان : دار الأعلام ، ٢٠٠٥ .

(١٤٤) ص .

ر .إ . (٢٠٠٤/١٢/٢٩٩٤)

الواصفات : / الأسرة / / تنظيم الأسرة / / الإسلام

والأسرة / / الزواج / / الإسلام

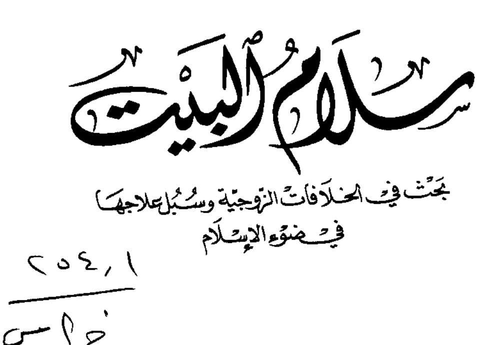
تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار الأعلام للنشر والتوزيع

الأردن - عمّان - العبدلي - مركز جوهرة القدس - الطابق ٢ مكتب ٦٠٥

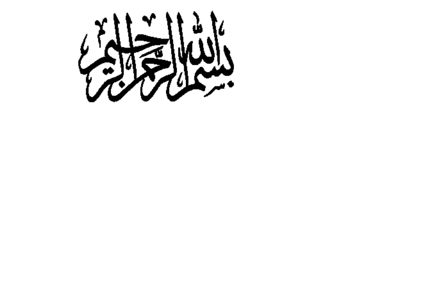
تلفاكس : ٤٦٥٧٤٦٨ - ص.ب ٩٢٧٥٦٣ عمّان ١١١٩٠ الأردن

E-MAIL : AL_AALAM@YAHOO.COM



تأليف
إبراهيم بن شهاب الخالدي




بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدّمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد :

فإن الأسرة هي نواة المجتمع والمحضن الطبيعي الذي تمتزج فيه عواطف الحب والرحمة ، وفيه يجد الزوجان ضالتهما في الأنس والرغبة والاستقرار النفسي والعاطفي ، كما أنها المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأطفال مبادئ العلم والأخلاق والتربية والتوجيه .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق ، وجعلهم مختلفين ... في الأجسام والأفهام والمواهب والعقول والميول والطباع . . إلخ ، بيد أنهم يشتركون على نحو متفاوت في الحاجات والدوافع والغرائز والانفعالات . وشاءت حكمته ، جل شأنه ، أن جعلهم يحتاجون في حياتهم إلى بعضهم البعض ، وأن يجمع الأزواج ذكوراً وإناثاً في بيوت مشتركة ، وقد ركَّب فيهم غريزة الجنس وخاصية التجاذب والترابط .

ومع اختلاف الأزواج على النحو المشار إليه ، مع ضرورة اجتماعهم وعيشهم معاً في بيوت مشتركة ، وما ركَّب فيهم من غريزة حب الذات ، وحماية الذات ، مع جهل الزوجين ، في كثير من الحالات ، بأصول العشرة الزوجية ، وعدم تواؤم الأمزجة والعقول ، وعدم تدريبهما وإعدادهما إعداداً مناسباً لمواجهة مسؤولياتهما في الحياة الأسرية الجديدة ، بما تحتاجه

من متطلبات ، وما يفرض عليها من علاقات وواجبات ، وما يعترض مسيرتها من مشكلات ، فكان لا بد أن تنشأ بينهم خلافات كثيرة ، ونزاعات متكررة بسبب ذلك .

وفي واقع الأمر فإن الخلافات بين الأزواج كثيرة ومتنوعة ، منها ما يقتصر على سوء التفاهم واختلاف وجهات النظر ، ومنها ما هو مصحوب بالعنف الذي قد يفضي إلى الضرب وربما ينتهي بالطلاق وخراب البيوت . ولا يكاد يخلو بيت أو أسرة من خلافات تنشأ بين أفرادها بين الحين والآخر ، على اختلاف طبيعة تلك الخلافات وتباين حجمها وآثارها .

وبما أن البيوت أسرار ، كما يقولون ، فكثير من البيوت تغلق على خلافات لا تنتهي ومنازعات خطيرة ، وفي غالب الأحيان لا يستطيع الزوجان بمفردهما علاج ما ينشب بينهما من خلافات ، أو إزالة ما يحدث بينهما من تنافر ، كما يمتنع الزوجان عن الإفصاح عنها ، لاعتبارات كثيرة : نفسية واجتماعية ودينية . . إلخ . وبما أن الأمر كذلك ، وهو لاشك في أحيان كثيرة كذلك ، ولذلك جاء هذا الكتاب ؛ ليتناول الخلافات الزوجية بشكل عام ، من حيث أسبابها ، وآثارها النفسية والاجتماعية ، ومن ثم يقدم النماذج والأساليب الملائمة للصلح وحل الخلافات . وقد تطلب الأمر إضافة فصل تمهيدي ، يتناول واجبات الزوجين وحقوقهما تجاه بعضهما البعض ، وذلك ليكون الزوجان على بينة من أمرهما ، فلا يشتط أحدهما بمطالب ليست من حقه ، أو يقصر في أداء واجب مترتب عليه ؛ لظنه أنه غير مطلوب منه .

وقد بسطناه على النحو الذي بين يديك ليكون سهل العبارة ، واضح المعنى ، قريب الفهم ، كي يلجأ إليه الزوجان الكريمان ؛ فلعلهما يفيدان مما جاء فيه من نصائح وتوجيهات وأساليب ، فيصلحان ما فسد بينهما ، ويمحوان خلافاتهما ، ويزيلان أسباب النزاع ودواعي الشقاق .

فالكتاب أسهل كثيراً من وسطاء الصلح في ولوج البيوت التي تستعر بالخصام وتضطرم بالخلاف ، حيث لا يستطيع أحد من الجيران أو المقربين وُلُوجها ، في الغالب الأعم ، لإطفاء السعير وإخماد الحريق للاعتبارات المشار إليها .

ولقد كتب الكثيرون في إصلاح البيوت ، وعن الحياة الزوجية السعيدة ، وعن المشكلات الأسرية ، بيد أنهم اقتصروا في كتبهم على النصائح والتوجيهات في هذا المجال وحسب ، ودارت تلك الكتب على ما يجب ويجب على الزوجين من ممارسات لتحقيق الحياة الزوجية السعيدة ، وهو ما لا يغني عن كتاب يتضمن الأساليب الناجعة للإصلاح . غير أننا في كتابنا هذا لم نغفل هذه الوجوبات ، بل أضفنا إليها بعض النماذج والأساليب التي تبين للزوجين كيفية الصلح وطريقة حل الخلافات ، والتي جاءت في معظمها وصفاً لمواقف حقيقية تمت على النحو المشار إليه في الفصل الخاص بها من هذا الكتاب .

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم

إبراهيم بدر شهاب

٢٠٠٢/٧/٢٤

الفصل الأول

ضرورة الزواج وتكوين الأسرة

شاءت حكمة الله أن يجعل الزواج ضرورة للإنسان ، بل لجميع الكائنات الحية ؛ لأن الحياة لا يمكن أن تستمر إلا بالتزاوج الدائم ، الذي لا يقف في جيل من الأجيال . فلا بد إذن أن يكون في نفس كل فرد في كل جيل ما يحمله على طلب الجنس الآخر ليتم التزاوج ، ويخرج النسل الجديد الذي يعمر وجه الأرض ، ولا بد أن يكون هذا الدافع من العنف والإلحاح بحيث لا يتمكن الفرد الإفلات منه ، ولو حدثته نفسه بالإفلات (١) .

وقد حث الإسلام على الزواج وتكوين الأُسر ، ودعا الناس إلى أن يعيشوا في ظلالها ، إذ إن الأسرة هي الصورة المثلى للحياة المستقرة التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجاته . وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله تعالى لحياة البشر منذ فجر الخليقة . فحياة الإنسان فرداً فذاً في هجير الحياة يواجه وحده أجواءها الغائمة أمر لا يراه الإسلام ولا يرضاه ، لأن في فطرة الإنسان الحاجة الملحة إلى الأسرة وجوِّها الظليل ، وفي طبيعة الحياة أنها لا تواجه بالجهد المفرد الضئيل ، بل تحتاج إلى تناصر القوى وتبادل المشاعر والتعاون على حمل الأعباء ومواجهة المصاعب مما لا يفي به إلا نظام الأسرة ، تلك فطرة الحياة والأحياء ، والإنسان مطالب باحترامها والنهج على هداها ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم : ٣٠] .

---

(١) انظر : محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، ص ١٦٥ .

ذلك أن الأسرة نعمة من نعم الله وآية من آياته ، هيأها لعباده وارتضاها لهم لتقر بهم الحياة وتتهيأ لهم أسباب الطمأنينة . كما أن مشاعر العواطف التي تنمو في جو الأسرة غذاء لا تستغني عنه النفس ، ولا يكفيها سواه ، مما يجعل الأسرة نعمة ورحمة . والزواج في وضعه الصحيح ، سواء بالنسبة للمجتمع أم للأفراد ـ هو واجب اجتماعي للمحافظة على النوع الإنساني ، وسكن نفساني للفرد ، وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء . . قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم : ٢١] .

فهذه الآية تنبه الرجل والمرأة إلى أن من دلائل قدرة الله وعلامات كرمه أن خلق للرجل زوجة من جنسه ليسكن إليها ، والسكون النفسي المشار إليه في الآية هو تعبير عن الاطمئنان والألفة والشوق الذي يشعر به كل منهما نحو الآخر ، والذي يزول به اضطراب النفس وما تشعر به من وحشة . كما أن الله جعل بين الزوجين مودة ورحمة ، أي مودة حب ورحمة عطف[١] .

والأسرة هي الرقية الطبيعية التي تحمي الفرد من السعار الجنسي اللاهب عندما لا يجد الجنسان سبل الزواج متيسرة . فهي أولاً تكسر من حدة الشهوة المجنونة ، لأن الإنسان يزهد بفطرته من كل شيء يملكه ! فإذا اطمأن الزوج والزوجة بعد فترة التعطش الأولى إلى أن كلاً منهما يملك الآخر في كل لحظة يريدها ، لم يعد هناك دافع إلى التشهي العنيف والسعار الملهوف .

ولكن ليس معناه أن تموت الشهوة أو تتبلد نهائياً بالزواج ، فلحكمة عليا جُعلت شهوة الجنس من الحدة والعنف بحيث لا تخمد طالما كانت هناك المقدرة الصحية للفرد صالحة لأداء الغرض المطلوب ، وذلك لكي يستمر

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص ٢٢٣ .

النسل ، وتستمر الحياة على وجه الأرض ، ولا يوقفها شِبَع الارتواء ولا زهادة الزاهدين .

بل إن هذه الشهوة في حالتها السوية ليست في حاجة إلى استثارة نفسية ، فهي دائماً سهلة الاستجاشة عند أول طرقة ، ولكنها في حاجة دائمة إلى ملطفات تكبح جماحها ، لكيلا تكون عذاباً مستمراً لصاحبها ، يفقده هناءة العيش . وذلك ما يحققه الزواج .

والأسرة كذلك بمشاغلها الخاصة ، ومطالبها الدائمة ، وعلى الأخص حين يكثر الأولاد ويحتاجون لمزيد من الرعاية ، تصرف النفس عن الشهوة الملحة ، وتقف بها عند الحد المعقول الذي لا يرهق الجسم ولا يكلفه شططاً .

فمن ناحية الغريزة الجنسية ذاتها نجد الأسرة هي المنظم الطبيعي لانطلاق الشهوة ، بالصورة التي تمنع دمار الجسد وعذاب اللهفة الدائمة ، وتمنح الفرد السوي في الوقت ذاته نصيباً معقولاً من المتعة الجسدية ، ينتهي به إلى الرضا والارتواء[1] .

على أن الأسرة المستقرة ليست حاجة نفسية للرجل والمرأة فحسب ، فهي كذلك ضرورة لازمة لإقامة الكيان النفسي للأطفال على أساس قويم .

ونبدأ بتقرير حقيقة نفسية ثابتة وهي أن إنجاب الأطفال شهوة لم ينج منها أحد في القديم أو الحديث . وقد تمر على الشباب الحديث فترة يحسب فيها ـ بدافع الأنانية وحب الراحة ـ أنه قد تخلص من شهوة النسل . أو قد تؤثر الأحوال الاقتصادية على هذه الرغبة فتقف في طريقها إلى حدٍّ ما . ولكن هذا الشباب تمر عليه فترة أخرى فيحس بالفراغ الهائل في نفسه

---

(1) انظر : محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ ـ ١٨٦

وحياته كلها ، فراغ لا تملؤه إلا صيحة طفل . ويشعر بالندم على ما ضيع من عمره خاوياً من نسل يمد من عمره القصير على ظهر الأرض ، ويوهمه بالخلود .

وقد يجد الرجل أحياناً عملاً أو فكرة يغرق فيها نفسه ، ليسكت في ضميره هذا الهاتف الملح ، والحنين الملهوف . ولكن المرأة . . ما أقسى حياتها وما أشقاها بغير طفل ! إن الطفل جزء من المرأة حقاً ومجازاً . جزء من جسدها تحمله وتغذيه من دمائها ، ثم لبنها وهو خلاصة الدماء . وجزء كذلك من كيانها النفسي ، بحيث تشعر أنها معطلة أو ناقصة أو عاجزة إذا لم تأت بنسل .

وما دام الإنسان يحب إنجاب الأطفال ، فعليه أن يهيىء لهم البيئة الصالحة للتربية . فنحن إذن كلما تحضرنا زادت حاجتنا إلى الأسرة المستقرة من أجل تنشئة الأطفال ، والأسرة هي المجال الطبيعي الوحيد الذي نربي فيه عواطف الطفل ـ لا جسده فحسب ـ على أساس إنساني . وهي البيئة الوحيدة التي يمكن أن نزرع فيها عواطف الحب والرحمة والعطف والمودة في نفوس الأطفال ، لنتمكن بعد ذلك من إنشاء مجتمع متعاون متعاطف تقوم علاقاته على الحب أكثر مما تقوم على الصراع [١] .

ومن جهة أخرى فإن الرجل في حاجة إلى المرأة ، والمرأة في حاجة إلى الرجل ، لشيء آخر غير ضرورة الجسد ودفعة الغريزة . إن كلاً منهما ليجد عند الآخر وفي رحابة «مشاعر» نفسية : الألفة والحنان والود والتعاطف . مشاعر لا يجدها في أي مكان آخر .

إن هذه المشاعر اللطيفة ، النابعة من أعماق النفس ، لا تجد منطلقها إلا في جو هادئ مستقر . وتظل ـ إن لم تتحقق ـ تسبب جوعة نفسية

(١) المرجع نفسه ، ص ١٨٦ وما بعدها .

دائمة ، وحنيناً لاهفاً لا يستقر ، ولو وجد الإنسان كل متعة الجسد وكل حرية الاقتصاد .

إن كل فرد من أحد الجنسين في حاجة إلى فرد من الجنس الآخر يلقي إليه نفسه كلها ، مشاعرها وأفكارها ، ويكشف له عن كل أسراره الدفينة ، ويتجاوب معه ويتعاطف . ويجد منه حافزاً وعوناً لمواجهة الحياة وتبعاتها المختلفة . وإن الدنيا كلها لتفتح لقلبين متحابين متآلفين ، ولا تفتح لقلب واحد ، محروم من الحب والعطف ، مقطوع الألفة الندية ، ولو كان أكبر قلب لأعظم إنسان . بل هو لن يكون قلباً كبيراً ، وهو محروم من هذا الغذاء الروحي الشفيف(١) .

وقد وصف القرآن العلاقة الزوجية بقوله : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [النساء : ١٨٧] .

وهنا تتمثل روعة التعبير القرآني ، فالمرأة للرجل كاللباس زينة وكمالاً ، والرجل للمرأة كاللباس يسترها ويجملها . فحاجة كل منهما إلى صاحبه كحاجته إلى الملبس ، فإن كان الملبس لستر معايب الجسم وحفظه مما يؤذيه ، وللتجمل والزينة ، فكل من الزوجين لصاحبه كذلك : يصون عرضه ويوفر له راحته واطمئنانه(٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٢) عفيف طبارة ، مرجع سابق ، ص ٤٢٤ .

الفصل الثاني

الحقوق والواجبات الزوجية

يترتب على الرابطة الزوجية حقوق وواجبات كثيرة ، ينبغي على الزوجين مراعاة تلك الحقوق والحرص على أداء الواجبات تجاه بعضهما البعض ؛ كي يقوم عش الزوجية ويستمر على الحب والدفء ، تملؤه السعادة ويرفرف فوقه الهناء والسرور.

وقد جعل الإسلام تلك الحقوق والواجبات من الوضوح بمكان بحيث لا يدع مجالاً للتأويل أو الاجتهاد في التفسير ، ذلك أن الوضوح في مثل هذه الأمور متى روعيت يبقي العلاقة بين الزوجين حميمة وفي منأى عن التنازع والصراع ، ويحمي الأسر من التصدع والانهيار[١].

وقد وصف القرآن الكريم الزواج بأنه عهد مؤكد ، والعهد يجب الوفاء به ، لقوله تعالى : ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء : ٢١]. فهذه الآية تدل على أن النساء أخذن من الرجال ميثاقاً غليظاً هو ميثاق الزواج ، فهو عهد بين الرجل والمرأة ، يلتزم كل منهما بموجبه واجبات نحو الآخر ، ولهذا التعبير ﴿ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ قيمته في الإيحاء بمعاني الحفظ والمودة والرحمة[٢].

---

(١) في المؤسسات الإدارية المعاصرة عندما لا تكون الصلاحيات والواجبات واضحة ومحددة ، ويترك المجال للاجتهاد فيها وفق قناعة الأشخاص وميولهم ، يحدث نوع من التداخل والاضطراب بين مهام الوظائف وصلاحيات الأفراد ، وبالتالي ينشب النزاع بين الموظفين ، أو بين رؤساء الأقسام أنفسهم . ويكاد يرجع معظم الصراعات التنظيمية في المؤسسات إلى غموض الأدوار والصلاحيات والواجبات (المهام). ولذلك تتركز معظم التوصيات على ضرورة تحديد تلك الصلاحيات والمهام بوضوح تام .

(٢) عفيف طبارة ، مرجع سابق ، ص ٤٢٤ .

وفيما يلي أهم حقوق الزوجين وواجباتهما تجاه بعضهما البعض:

أولاً- حقوق الزوجة على زوجها (واجبات الزوج) :

١- الصداق والنفقة:

من أحكام الزواج الصداق (المهر) ، وهو بذل الزوج لامرأته ما يعتبر تقديراً لها ورمزاً لتكريمها وإسعادها . ولا يعني هذا اعتبار المرأة سلعة تباع ، بل هو رمز للتكريم والإعزاز ، واعتبار لما في فطرة المرأة من الرغبة في المتاع والحرص على الزينة ، وفي بذل المال دلالةٌ على عزم الزوج على تحمل الأعباء وأداء الحقوق . وقد سار الإسلام في تقدير الصداق على اعتباره رمزاً لا ثمناً ، فليكن شيئاً له قيمة ، أيّاً كانت قيمته[١] .

والصداق حق خالص للمرأة لا يحل لزوج ولا لأب ولا لأخ أن يتحكم فيه أو يأخذ منه شيئاً إلا بإذن المرأة ، إذناً صادراً عن طيب نفس وحرية إرادة ، فإن صدر الإذن عن إكراه أو مخادعة ، أو عن حياء المرأة أو ضعفها ، فالمهر حرام على من أكله . قال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ . [النساء :٤] أي : عطية وهبة . أما النفقة فهي حق للزوجة ، يلتزم به الزوج منذ قيام الحياة المشتركة بينهما ، وعليه أن ينفق عليها باعتدال حسب العادة والبيئة ، لا يميل إلى الإسراف والتقتير ، ولا يحمِّل نفسه فوق طاقتها[٢] ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [الطلاق : ٧] .

واعتبر الإسلام نفقة الزوج على زوجته وأولاده عبادة وقربة . فعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة»[٣] وهذا التقدير يدفع الرجل لأداء الواجب ويقويه على حمل العبء ، ويفعم نفسه بالرضا والتحمل ، ويزوده بالأمل في ثواب

---

(١) مصطفى عبد الواحد : نظام الأسرة في الثقافة الإسلامية ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) حسن أيوب : السلوك الاجتماعي في الإسلام ، ص ٢١١ .

(٣) رواه الطبراني .

الله وإحسانه . وقرر الإسلام فضل هذا البذل المشكور ، فجعله من أسباب قِوامة الرجل على المرأة . قال الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم﴾ [النساء : ٣٤] وفي هذا حفز للهمم وترويح عن المشقات . ولا يعني الاعتراف بمبدأ السيطرة الاقتصادية أو تحكم من ينتج ويعمل في القاعد عن الكسب والإنتاج . بل هو شكر للبذل وتقدير للتضحية ودفع للتحمل والثبات .

والنفقة واجبة للزوجة ما دامت تؤدي تكاليفها وتلتزم حدود فطرتها ، فإن تمردت على الفطرة وحادت عن النهج وتنكبت الطريق ، ففوتت على الزوج مقصود الحياة الزوجية فليس لها هذا الحق[١] .

وتشمل نفقة المرأة : الطعام والشراب والكسوة والدواء وما تستلزمه الحياة الطبيعية اللائقة بالزوجين دون سرف أو تقتير . والرجل الكريم هو الذي تسخو يده على أهله ، فلا يتركهم ينظرون إلى ما عند الناس من جيران وأقارب ما دام يستطيع أن يكفيهم مطالبهم بدون مشقة .

٢ – رعاية دينها وحسن توجيهها :

ومن حقوق الزوجة على زوجها أن يحافظ على دينها ويرعى سلوكها ويعنى بتوجيهه إلى الخير والفلاح ، فلا يدعها تستمرئ الاعوجاج أو تنحرف إلى المهالك . وكما يعنى بصحة الجسم وعافية البدن ، فعليه أن يعنى بسلامة دينها وخلقها وصحة اتجاهها ، ويكون رائداً بصيراً وناصحاً أميناً .

وليس من الأمانة ألا يعبأ الرجل بفراغ زوجته من الدين وجهلها به ، وانحرافها عنه ، ولا يعنيه إلا استيفاء حقوقه الحسية وتوفير الراحة والمتعة لنفسه ، إن ذلك لا يستقيم في نظر المسلم ، فإنه قد أُمر أن يحتجز أهله من

---

(١) مصطفى عبد الواحد ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

العذاب ، وأن يقيهم شقاء الدنيا والآخرة ، بأن يلفتهم إلى دينهم ويلحظ قيامهم بفرائضه وانتهاءهم عن مناهيه .

فعلى الزوج أن يتولى زوجته بالرعاية الدينية الكاملة(١) : فيعلمها أمور دينها ، ويبصرها بحقوق خالقها ، ويأمرها بتقوى الله في سائر شأنها ، وفي حسن قيامها بواجباتها نحو زوجها وأولادها ومجتمعها ، فيكون بذلك سبباً في نجاتها في الآخرة . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] ، وقال سبحانه : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه :١٣٢] .

وعلى الرجل أن يعلِّم زوجته أصول العقيدة والإيمان ، وأحكام العبادات ، والأخلاق ومحاسنها ومساوئها ، والحلال والحرام ، والسيرة النبوية ، وتراجم حياة أمهات المؤمنين والصالحات من النساء . ويتم هذا التعليم بأن يتذاكر معها فيما يعلم ، ويعقد الحلقات الدورية لأفراد الأسرة لتدارس الإسلام فكراً وعقيدةً وفقهاً ، وبتوفير الكتاب والمجلة الإسلامية ، والأشرطة المسجلة التي تحتوي على تسجيلات القرآن الكريم والدروس الدينية ، وبتشجيعها على حضور الدورات والمحاضرات الدينية ، وباختلاطها بالصالحات الواعيات من نساء المجتمع(٢) .

٣- العدالة والنصفة :

إذا كان للرجل زوجتان أو أكثر ، وجب عليه أن يعدل بينهما في المأكل

---

(١) هذا الواجب منظور فيه إلى ثقافة الرجل الدينية وثقافة زوجته ، فقد كان الرجال في زمن الصحابة والتابعين هم الأكثر وعياً بأمور دينهم ؛ لأنهم يسمعون من الرسول ﷺ مباشرة أو من أهل العلم بعد ذلك ، ثم يبلغون نساءهم ما سمعوه وتعلموه ، ولذلك كان مسوغاً أن يتولى الرجال رعاية النساء من هذا الجانب ، ولكن- في أيامنا هذه- قد تكون المرأة أكثر وعياً من الرجل بأمور دينها ، ولذلك ينقلب هذا الواجب حقاً للرجل واجباً على المرأة ، فالذي يَعْلَم وجب عليه أن يُعَلِّم .

(٢) محمد عقلة : نظام الأسرة في الإسلام : ٢/ ٢٠٧ .

والمشرب والملبس والمسكن والنفقة ، وهو الشرط الذي اشترطه الإسلام لتعدد الزوجات ، فمن لم يثق في نفسه بالقدرة على أداء هذه الحقوق بالعدل والسوية حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ . [النساء : ٣] وقال عليه الصلاة والسلام : «من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شدقيه ساقطاً أو مائلاً»[١] . والميل الذي حذر منه هذا الحديث هو الجور على حقوقها لا مجرد الميل القلبي ، فإن هذا داخل في العدل الذي لا يستطاع . ولهذا كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول : «اللهم هذا قسْمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك»[٢] .

يعني بما لا يملكه من أمر القلب والميل العاطفي إلى إحداهن خاصة[٣] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب على المسلم أن ينصف زوجته من نفسه ، بمعنى أن يعدل في النفقة بينه وبينها ، وألا يستأثر بطعام دون أهل بيته ، لحديث الرسول ﷺ عندما سئل : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : «أن تطعمها إذا طعمت ، وأن تكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»[٤] .

ثانياً– حقوق الزوج على زوجته: (واجبات الزوجة):

١– حق الطاعة :

إن أحمال الرجل ثقيلة وتكاليفه شاقة في الجملة ، ومهما حملت المرأة معه وشاركت في العمل والعلم والبناء ، فإن دورها كما ينطق به الواقع محدود ، ومع هذا الدور المحدود فإنها تعتمد أصلاً على الرجل في أكثر الأعمال . وإذا

---

(١) رواه الحاكم وابن حبان .

(٢) أخرجه أصحاب السنن .

(٣) يوسف القرضاوي : الحلال والحرام في الإسلام ، ص ١٨٥ .

(٤) رواه أحمد وأبو داود .

كانت كل المسؤوليات على الرجل ، وكانت مسؤولية المرأة محصورة في أن تعيش لزوجها سكناً ورحمةً ووداً ، وأن تقوم بدور الأم كاملاً مع أولادها ، فإن العقل والشرع والعرف يجعل للرجل حق الرياسة في الأسرة ، وحق الطاعة على أفراد الأسرة كلهم من زوجة وأبناء[١] .

والطاعة أمر عام يدخل تحت تنفيذ كل أوامر الزوج ـ في غير معصية الله ـ والابتعاد عن كل شيء لا يرضاه أو ينهى عنه ويمنع منه . فلا تُدخل أحداً بيته إلا بإذنه ، ولو كان أقرب الناس إليها أو إليه . ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولو كانت ذاهبة لأبيها وأمها . ولا تتصرف في ماله إلا بإذن خاص أو إذن عام ، كأن يقول لها : تصرفي كيف تشائين فيم تحت يدك من مالي . هذا في الأمور الكبيرة والمبالغ المرموقة ، أما في التوافه فلا شيء عليها . كأن تعطي سائلة أو جارة قليلاً من الطعام أو المال أو الملابس القديمة ونحو ذلك .

وحق الطاعة هو ما عبر عنه القرآن الكريم بالقوامة ، وقد ثبت وجوب حق الطاعة والقوامة بالكتاب والسنة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] .

ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى الرجل قواماً على المرأة ورئيساً لها[٢] ،

---

(١) حسن أيوب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ والتي تليها .

(٢) يستند إعطاء الإسلام حق القوامة للرجل على المرأة للأسباب التالية :

١ـ الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ كما تقدم .

٢ـ ما فضل الله به الرجل على المرأة من القوة البدنية ، والقدرة على العمل والكد لكسب العيش .

٣ـ إن الرجل هو المكلف بالإنفاق على الأسرة والمسؤول عن توفير متطلباتها المعيشية .

٤ ـ الثبات الانفعالي عند الرجل أكثر منه عند المرأة ، وتقلب العاطفة عند المرأة لا ينسجم مع القوامة التي تحتاج إلى التوازن والسيطرة الانفعالية ، وتغلب التفكير على العاطفة .=

ومقتضى القوامة أن تطيع المرأة زوجها . فطاعة المرأة لزوجها واجبة عليها . وعصيان زوجها محرم عليها ، وتعذب عليه في الدنيا والآخرة إذا لم ترجع عنه وتعتذر لزوجها حتى يسامحها ، وحالة الزوجة مع زوجها كحالة الوالد مع أبيه بل حق زوجها أكبر بنص حديث «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» (١) . والمرأة الصالحة هي التي تدرك ذلك وتعيه وعياً تاماً ، وتخشى الله في زوجها ، وتراقبه سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة مخافة أن يغضب عليها ، ولذا قال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤].

والمعنى أن النساء الصالحات مطيعات لأزواجهن ، حافظات لغيبتهم إذا غابوا فيحفظن أنفسهن ، ويحفظن أموال أزواجهن وأولادهم ، وذلك بتوفيق الله لهن وحفظه . فالطاعة للزوج أول واجبات المرأة المسلمة الصالحة (٢) .

كما وردت أحاديث كثيرة تدل على وجوب طاعة الزوجة لزوجها ، وتبين أنها من أفضل القربات إلى الله تعالى ، ومن أهم موجبات رضاه ، وأن الإخلال بها من موجبات سخطه ، كقوله ﷺ : «إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت الجنة» (٣) . وقوله : «خير النساء من تطيع زوجها إذا أمر ، وتسره إذا نظر» (٤) . وقوله :

=ولما كانت حياة الأسرة مجموعة من الواجبات والتكاليف ، فقد أنيطت قيادتها إلى الزوج وهو الأقدر عليها ، لذا تعتبر إناطة القوامة به ضرب من المكافأة والتكريم ، وشكر البذل من جهة ، كما أن القوامة تكليف لا تشريف من جهة أخرى . وهي ترويح عن الرجال ما يواجهونه من مشقات ، وحفز لهم على الاستمرار في البذل والعطاء . (انظر : محمد عقلة ، مرجع سابق : ٢/ ٣٠).

(١) رواه الترمذي .

(٢) حسن أيوب ، المرجع السابق ص : ٢٢٤ .

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» .

(٤) حسن أيوب : ٢٢٤ .

«جهاد المرأة حسن التبعل»[١] .

وروي عنه ﷺ أنه قال : يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء ، والحيتان في الماء ، والملائكة في السماء ، والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع[٢] .

ويتعلق بهذا الحق معرفة الزوجة مكانة زوجها بالنسبة لها ، ومعرفة هذا الحق هامة جداً ، فقد بينت الآيات السابقة أن الرجال لهم درجة قوامة وفضل على النساء ، كما مر ، وفي الأحاديث التالية ما يبين مكانة الزوج بالنسبة للمرأة ، وهي مكانة تفوق كل تصور ، وواجب على المرأة العلم بها لتتصرف مع زوجها على أساسها ، ولتكون كالدافع لها في ألا تتبرم بزوجها ولا تمله ، ولا تنكر فضله عليها . فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[٣] .

قالت عائشة رضي الله عنها : يا معشر النساء ، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها[٤] .

وعن حصين بن محصن رضي الله عنه أن عمة له أتت النبي ﷺ فقال لها : «أذات زوج أنت ؟» قالت : «نعم ، قال : فأين أنت منه ؟»[٥]

---

(١) حسن التبعل : أي حسن الطاعة للبعل ، وهو الزوج ، وتباعل الزوجان : تلاعبا .
(٢) الذهبي ، كتاب الكبائر ، ص ٢٠٢ .
(٣) رواه ابن ماجه .
(٤) الكبائر : ٢٠١ .
(٥) يعني أين تضعين نفسك منه ؟ هل تتكبرين عليه أم تخضعين له ؟

قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه [١] ، قال : «فكيف أنت لـه ؟ فإنـه جنتـك ونارك» [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنهـا قالـت : سـألت رسـول الله ﷺ : أي النـاس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : «زوجها» . قلت : فأي الناس أعظم حقًا علـى الرجل؟ قال : «أمه» [٣] . وهذا تقابل جميل رائع يعطي المرأة جزاء ما تقـدم : فبينما زوجها أعظم الناس حقاً عليها إذا بها أعظم النـاس حقـاً علـى ابنهـا ، وهكذا العدل الإلهي المطلق [٤] .

٢ – القيام بتدبير أعمال المنزل :

من المهمات الأساسية الملقاة على عاتق الزوجة أن تـنهض للقيـام بشـؤون منزلها ، ويتحقق ذلك بقيامها بما يأتي [٥] :

أولاً ـ خدمة البيت : وذلـك بـأن تقـوم بالخـدمات الـتي يحتاجهـا البيـت والزوج والأولاد ، من طبخ وغسيل وتنظيف ورعاية وحفظ [٦] .

---

(١) أي لا أقصر في حقه إلا عند عجزي وعدم قدرتي .

(٢) أي على أي حال تكونين معه فإنك تأخذين جزاءك على ذلك . والحديث رواه أحمد والنسائي .

(٣) رواه البزار .

(٤) حسن أيوب : مرجع سابق : ، ص ٢٢٣

(٥) انظر : محمد عقلة ، مرجع سابق : ٢/١٢٨ ، ١٥٢ وما بعدها .

(٦) يرى جمهور العلماء أن المرأة متطوعة بهذه الخدمة ، وأنها لا تقوم بها على سبيل الـواجب القضائي بل الديني ، بمعنى أن القـاضـي لا يجبرهـا علـى ذلك إذا امتنعت عن القيـام بهـذه الأعمـال . وهـذه الخـدمـة وإن لم تكن واجبة قضاءً ، فإنهـا ممـا تقتضيـه تعاليـم الإسـلام ومبادئه من حيث مسـاواة الرجـل بالمرأة في الحقوق والواجبات ، حيث يتولى الرجـل القيام بما هو أقدر عليه من الكدح والعمل خارج البيت ، كما أن المرأة بمـا أودعهـا الله مـن طبيعـة هـي الأقدر على العمل داخل البيت وتدبيره وتربية الأولاد .

وعند الحديث عن الخدمة في البيت لا بد من التذكير بأنه على الأم أن تقوم بمهمة إعداد ابنتها وتدريبها في بيت أبيها على القيام بواجبات البيت ، وأن تعلم الأم والبنت أن هذه الشؤون والتدرب عليها يأتي في قائمة أوليات ما تتعلمه الفتاة ، بحيث إذا انتقلت إلى بيت زوجها كانت قادرة على القيام بهذا العمل بكفاءة وإتقان وهو ما من شأنه إدخال البهجة على قلب الزوج ، وإضفاء السعادة على جو البيت .

ثانياً ـ أن لا تفرط في شيء من أمواله ، بأن تعطي شيئاً منها أحداً من قريب أو فقير بغير إذنه ، فإن فعلت ذلك باءت بالإثم والمعصية ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : «لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه ، إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده ، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر» ، ولكن لا بأس بالأمور الصغيرة التي لا بد منها مما تقوم به الحياة الاجتماعية بين الجيران والأقارب .

ثالثاً ـ أن لا توقع الزوج في الحرج ، وترهقه من أمره عسراً بكثرة الطلبات ، فقد يكون لذلك الأثر السيئ على الزوج ، مما يحمله على الكسب غير المشروع حين تضيق قدراته المالية بها ، ولقد كانت الصالحات من نساء السلف تودع زوجها حين خروجه إلى عمله بقولها : (إياك وكسب الحرام ، فإنا نصبر على الضر والجوع في الدنيا ، ولا نصبر على النار في الآخرة) .

وروى أبو هريرة عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يد قرابته أو الجيران» . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : «يعيرونه بضيق المعيشة فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها نفسه»[١] .

---

(١) الترغيب والترهيب : ٣ / ٢٩٩

فعلى الزوجة العاقلة أن تراعي طاقة زوجها المالية وقدرته على النفقة ، فلا إلحاح في حالة العسر ولا شراهة في حالة اليسر ، بل تلبس لكل حالة لبوسها ، وترضى منه باليسير ، وشر ما تتصف به المرأة الشراهة وكثرة المطالب الكمالية والترفية ، وهذا لا يزيدها من زوجها إلا بعداً ، ولا من قلبه إلا بغضاً[(١)] .

إذا لم تكن في منزل المرء حُرَّة تُدبره ضاعت مصالحُ داره

رابعاً ـ أن تحذر الأسلوب الذي تلجأ إليه بعض الزوجات في تبديد أموال زوجها كي لا يجمع المال الذي ربما تزوج به أخرى ، ولذلك على المرأة أن تعلم ، أن استبقاء زوجها ، والاحتفاظ بمحبته إنما يكون بحسن معاملتها له ، والقيام بواجباتها على الوجه الأكمل ، مما يجعل البيت مهوىً لفؤاده ، ومكاناً ينشد فيه الراحة[(٢)] .

٣- تربية الأولاد :

من المهام الجليلة التي تقع على عاتق الزوجة تعهد الأولاد بالرعاية

---

(١) ناصر بن سليمان العمر : مقومات السعادة الزوجية ، ص ٤١ .

(٢) في المثل الشعبي : (' قصقص طيرك لا يلوف بغيرك) أي قص أجنحة طائرك حتى يظل عاجزاً عن الطيران فلا يبتعد عنك ... وهو كناية عن تعجيز المرأة زوجها عن الزواج بأخرى . وذلك بجعله لا يملك المال الذي يتزوج به ، إما عن طريق إرهاقه بالمطلوب للبيت من الكماليات ، وإما ببذل أمواله وتبديدها على أهلها وصديقاتها .

وهي سياسة خاطئة ومذمومة ، إذ إنها تجعل الرجل يشقى كثيراً ، ويعمل ليل نهار حتى يجهده العمل ، فيكره الحياة ويعيش في نكد يظهر أثره في حديثه الحاد مع زوجته ، وفي شجاره المستمر معها الذي ينتهي إلى ما خشيت منه الزوجة ، وهو طلاقها ، ثم زواجه من غيرها . وكان من الأجدر بها أن تحبس طيرها بالطريق الطبيعي ... الحب ، وإظهار حسن تدبيرها لاقتصاديات منزلها ... فإنما يسقط الطير حيث يرى الحب . فبالحب تحسن المعاشرة وتطيب الإقامة مع المحبوب . وبحسن تدبير المنزل يستريح الرجل من العناء ، ويتوافر له الوقت الذي يجلس فيه مع أولاده ، يسهم في تربيتهم بتجاربه وأحاديثه . (المرأة في التصور الإسلامي ، ص ١٤) .

والتربية ، ولذلك فعليها أن تتحلى بالصبر والرحمة في معاملتهم ، فلا تكثر من زجرهم أو ضربهم أو الدعاء عليهم ، خصوصاً بحضرة الزوج .

إن للزوجة دوراً بارزاً في هذه التربية ، فالطفل يقتبس طباعها وأخلاقها وسلوكها ونمط حياتها بما فيه من خير أو شر ، لذا كان حري بها أن تربي أبناءها على الطهر والعفة والشجاعة والصدق وغيرها من الخلال الحميدة ، وأن تحاذر صغائر الأعمال والخلال ، لذا عد ﷺ الأكذوبة في حق الطفل خطيئة تستوجب المؤاخذة .

وإننا نجد اهتمام الإسلام واعترافه بفضل المرأة في تربية الأولاد ، فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ، كما رخص للمرأة أن تترك العبادة كالصيام حفاظاً على صحتها وصحة طفلها وتوفيراً للرضاع له .

٤- الإحسان إلى أهل الزوج:

بأن تبرَّ والديه ، وتظهر لهم التودد والاحترام ، ولا سيما إن كانوا يقيمون معها في بيت الزوجية ، وكذلك أن تكرم سائر أهله من إخوة وأخوات . ذلك أن إكرام المرأة أهل زوجها ضرب من احترامه وإكرامه [١] .

---

(١) هناك مشكلة تثار باستمرار ، وهي علاقة الزوجة بوالدة الزوج- الحماة- إذ يبالغ البعض في تصويرها ويجعلون منها علاقة تحكمها العداوة التقليدية .
والواقع أن علاقة الحماة بزوجة الابن تنشأ من تنافس المصالح ، والرغبة في الاستئثار بالاهتمام والمحبة من الزوج ، إذ ترى الأم أنها أولى بذلك من الزوجة ، لأنها أنجبته وربته . تحس الزوجة بأنه ينبغي أن يكون لها المكانة الأولى في حياة الزوج . والعلاج الإسلامي لهذه المشكلة يتمثل فيما يلي :
أ ـ النظر إلى الخلاف على أنه أمر طبيعي ، ناتج عن تنازع عاطفتين ، فينبغي ألا يضخم ، وأن لا يعطى طابع الخطورة ، بل يهون منه ، ويبين أن علاجه أمر ميسور بالاحتكام إلى تعاليم الإسلام والتحلي بآدابه .
ب ـ إن الإسلام جعل للزوجة الحق في منزل مستقل لا يشاركها فيه غيرها من أهل الزوج =

٥- محافظة المرأة على عفافها:

ويكون ذلك بأن تبتعد المرأة عن كل ما يعرض سمعتها وشرفها للخدش. ومن الوسائل التي وضعها الإسلام لذلك:

- العمل على إبعاد المرأة عن كل ما يهيج عواطفها من غشيان دور اللهو، وقراءة القصص الغرامية، ومشاهدة أو سماع الأفلام والمسلسلات الساقطة المرذولة.

- عدم الاختلاط بالفاسدات من النساء.

- التذكير الدائم بالله وباليوم الآخر وما أعد من ثواب لأرباب الفضيلة، ومن عقاب للمنحرفين.

- تحريم النظر إلى الأجانب.

- منع المرأة من الخروج أو السفر وحيدة من غير محرم.

= إلا عند الضرورة، وبالتزام هذا الحكم، ننزع فتيل الصراع، فإذا ما دعت الضرورة لأن يساكن أهل الزوج ابنهم كان لتحلي الزوجة بروح الإسلام وأخلاقه أنجح علاج، وخير مانع من إثارة هذه المشكلة. وينبغي أن يعدل تصميم البيت بحيث يكون الجزء المخصص للزوجة شبه مستقل عن بيت الأهل، ويكون له مدخل خاص، غير المدخل المعتاد للأهل. فنحافظ بذلك على نوع من الاستقلالية لبيت الزوجية. ويخف الاحتكاك إلى درجة كبيرة.

جـ- إن للزوج دوراً هاماً في إقامة توازن في علاقته مع كل من الأم والزوجة بحيث لا يظهر ميلاً واضحاً أو تعاملاً متميزاً نحو إحداهما دون الأخرى، وبذا يعمل على تهدئة النفوس، واستئصال دوافع المنافسة.

د- توزيع العمل في البيت على الجميع، وتحديد الواجبات بوضوح. ومن أجمل ما روي في هذا الشأن عن الإمام علي كرم الله وجهه: أنه كان يقسم عمل البيت بين أمه وزوجته، فيقول لأمه فاطمة بنت أسد: «اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك في الداخل: الطحين والعجين».

وفي أيامنا هذه، ينبغي أن تتولى الشابات العمل داخل البيت، أما التسوق والاتصال بخارج البيت فللكبيرات في السن. وهذا أصون للعفاف. (انظر: نظام الأسرة في الإسلام، ص ٢/١٦٩، والمرأة في التصور الإسلامي، ص ١٩٩).

ثالثاً- الحقوق المشتركة بين الزوجين:

ثمة حقوق مشتركة بين الزوجين ، يجب أن يقوم كل منهما بها تجاه صاحبه بدرجة متساوية ؛ لاشتراكهما في هذه الحقوق على نحو متواز ، ومن هذه الحقوق :

١- حق الاستمتاع :

العلاقة الجنسية أمر عظيم الأثر على العلاقة الزوجية ، والغريزة الجنسية هي الدافع القوي المباشر للزواج لدى أكثر الناس ، وربما كان إهمال الزوجين لها وعدم إيلائها الاهتمام الكافي من قبلهما سبباً في تكدر الحياة الزوجية وافتقارها إلى عنصر السعادة والسكن.

وبناء على ذلك قرر الإسلام أن المعاشرة الزوجية حق لكل من الزوجين ، ولا يجوز لأحدهما أن يقصر في حق صاحبه في هذه الناحية ، كما أكد حق كل من الزوجين في الاستجابة لهذا الدافع ، ورغب في المعاشرة الزوجية إلى حد اعتبارها قربة وعبادة تستحق الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى. فعن أبي ذر قال : قال ﷺ : «وفي مباضعتك أهلك صدقة» . فقال أبو ذر : أيؤجر أحدنا في شهوته ؟! قال : «أرأيت لو وضعته في غير حل أكان عليك وزر ؟» قال : نعم ، قال : «افتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير»[١] .

وأوجب الإسلام على المرأة أن تستجيب لدعوة الزوج إذا دعاها إلى فراشه محتاجاً إليها ، راغبا في الاستمتاع بها ، حيث يقول ﷺ : «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته ولو كانت على التنور»[٢] .

وحذر الزوجة من رفض طلب الزوج ، لأن ذلك من شأنه إسخاط زوجها

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الترمذي والنسائي .

عليها ، لاسيما إذا كان من النوع المفرط في هذه الغريزة ، مما يسبب له المنع إرهاقاً نفسياً ، وانشغالاً عن التفرغ لمواجهة مشكلات الحياة بروح مطمئنة . وبين أن لهذا الرفض مغبة كبرى وعواقب وخيمة في الآخرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»(١) .

وفي الوقت الذي أكد فيه الإسلام على حق الزوج في هذه المعاشرة لم يهمل حق الزوجة ، فحرم على الزوج أن يتعمد هجر زوجته ، ومنعها من حقها في المعاشرة دونما عذر ، ولذا قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص : «إن لأهلك عليك حقًا»(٢) .

٢- التعاون على طاعة الله :

ينبغي على الزوجين أن يقوم كل منهما بإسداء النصيحة للآخر ، وتذكيره بالله إذا أخطأ أو نسي أو قصر في أداء واجباته الدينية والاجتماعية ، وأن يكون كلاً منهما عوناً للآخر على أداء العبادات ، وفعل الخيرات والقربات . يقول سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] ويقول ﷺ : «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»(٣) .

٣-الشعور بالمسؤولية المشتركة إزاء واجبات البيت :

من توفير احتياجاته ، ومتطلبات الأبناء ، وتربيتهم وإسعادهم ، فينبغي

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) محمد عقلة ، مرجع سابق : ٢/ ١٤ ، ١٥ ، والحديث رواه البخاري .

(٣) رواه أحمد وأبو داود .

ألا تستبد الأنانية بأحدهما فينصرف إلى توفير الدعة لنفسه ، تاركاً الآخر يواجه وحده الأعباء والمتاعب . فالزوجان شريكان في التخطيط للأسرة ، والإحساس باهتماماتها ، والقيام بالأعمال التي تكفل بقاءها سعيدة قوية[١] . يقول الرسول ﷺ : «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته . . الرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية وهي مسؤولة عن رعيتها»[٢] .

لقد كان رسول الله ﷺ في خدمة أهله ، يرقع الثوب ، ويكنس البيت ، ويحلب الشاة ، ويخصف (يلصق) النعل ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم . فعن الأسود بن يزيد قال : سألت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله (أي في خدمتهم) فإذا سمع الأذان خرج[٣] . فخدمة الرجل لأهله فضل يتفضل به على زوجته إذا فعله بلغ الكمال الذي أراده التشريع الإسلامي . والشرع لا يوجب على الرجل الخدمة ، ولكنها مكرمة يندب إلى فعلها فيكون معها في قلب الزوجة وعينها[٤] . قال عليه السلام : «خدمتك زوجتك صدقة»[٥] .

٤- الشورى :

المشاورة بين الزوجين واجبة في كل ما يتصل بشؤون الأسرة وأحوالها ،

---

(١) شكت إلي إحدى السيدات الفضليات كسل زوجها وقلة مروءته وعدم تعاونه معها ، وقالت : لو حمل عني عبء تدريس الأولاد ومراجعة دروسهم ومذاكرتهم عند عودتهم من المدرسة ، لكفاني ذلك سعادةً وفخراً ، ولكنت له من الشاكرات الحامدات ، ولكنه مشغول دائماً بملء بطنه ولا يكف عن الطلبات ، ويجلس الساعات الطويلة أمام التلفاز يستمتع بمشاهدة الأفلام والمسلسلات ومباريات كرة القدم ، إلى جانب قضاء السهرات عند الجيران والأصدقاء . فكان مما نصحتها به : أن تذكره بالله ، وتوضح له أن أولاده أمانة بين يديه ، وأنه مسؤول عنهم أمام الله يوم القيامة ، وتذكره بواجبه نحو أولاده وزوجته وبيته ، فلعله يستشعر عظم المسؤولية ومغبة التفريط بمثل هذه الأمانة العظيمة ، فيقوم بواجبه نحوهم بصفته أب وراع ومسؤول عن رعيته .

(٢) رواه أحمد والشيخان .

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٢٨ .

(٤) محمد عقلة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦ .

(٥) كنز العمال : (٤٥١٣٨) .

بل إنها يجب أن تمتد إلى كل ما يقوم به الرجل من عمل ، فليس هناك كالزوجة المخلصة الصادقة مستشار أمين لزوجها ، تهديه بعاطفتها ، وتحميه بغريزتها ، ويجب أن تسير الأمور في الشركة الزوجية دائماً على هذا النحو ، فيتبادل الزوج مع زوجته الرأي ويشاورها في الأمر ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

بمعنى أن يكون التشاور وتداول الرأي قائماً بين الزوجين فيما يتعلق بشؤون البيت وتدبير أمر الأسرة ، ومستقبل الأولاد . وليس من الحكمة في شيء أن يستبد الرجل برأيه ولا يلتفت إلى مشورة امرأته ، لا لشيء ، إلا أنها امرأة ، ومشورتها قدح لقوامته عليها في نظره[١] . فكم من امرأة أدلت برأي صار له أكبر الأثر في استقامة الأمور وصلاح الأحوال . بل إن الزوجة ذاتها كان لها رأي حصيف ، وكان مثار سعادة الزوج وإعجابه ، وله تأثير مباشر على حياته منذ زواجهما ، وهو أنها اختارته زوجاً دون سواه ، فما رأي الرجال بهذا الرأي الرائع ؟

ولا تعني قوامة الرجل أن يكون مستبداً برأيه يفرضه على زوجته في كل الأحوال ، ليس هذا مراداً أبداً ، لا في العقل ولا في الشرع ، بل المراد هو جو الأسرة الذي تسوده الحياة الهادئة والعشرة الحسنة ، وإنما يجب أن يقوم على المشاورة في الأمور المشتركة ، وأن يكون التفاهم الحسن وتبادل الآراء تحت مظلة الحب والمودة هو الأصل ، وإلا كان تناقضاً ، فإن اختلف الزوجان في أمر وتمسك كل من الزوج والزوجة برأيه وجب أن يطاع الزوج ويسلم الأمر له[٢] .

وخير من يقتدى به في هذا الأمر رسول الله ﷺ ، يوم أن دخل على أم سلمة غاضباً مما فعل أصحابه يوم الحديبية ، حيث أمرهم أن يحلقوا رؤوسهم .

---

(١) ناصر العمر ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٢) حسن أيوب ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

ويتحللوا من إحرامهم ، فكأنهم تحرجوا وتباطؤوا ، فأشارت عليه أم سلمة أن يحلق هو حتى يحلقوا ، فأخذ الرسول ﷺ بمشورتها ، فما كان منهم إلا أن بادروا إلى امتثال أمره عليه الصلاة والسلام .

٥- الزينة:

إن الزوجة التي يراها زوجها متزينة له ، متعطرة من أجله ، منظفة بيتها ودارها ، منظمة كل شؤونها ، تستقبله ببسمتها ، وترطب وجدانه بحلاوة مقابلتها وكلامها ، وتمسح متاعبه برقتها وحسن تصرفها ، وتهيئ له الجو الهادئ المناسب لوقت راحته ، وتوفر له مطالبه التي اعتادها حين يدخل وحين يخرج . إن مثل هذه الزوجة متاع الدنيا وحوريتها ، وبهجة الحياة وبلسمها ، ونور البيت وجماله ، ولو وقفت الدنيا كلها في جانب ووقفت هذه المرأة في جانب لاختار الرجل هذه المرأة ، لأن بيدها مفاتيح السعادة وكنز الحياة . وصدق رسول الله ﷺ حين قال : «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[١] .

والمرأة الصالحة هي التي إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وفي ماله .

إن الزوجة الذكية هي التي تعرف كيف تملأ قلب زوجها ، وأن تجعله دائماً في شوق إليها ، فتجعل من نفسها دائماً زوجة جديدة في حياته ، وتحسن اختيار الكلمة الطيبة (الحلوة) والبسمة المشرقة ، والرائحة الطيبة ، والفستان الأنيق واللمسات الفنية للشعر ، والاختيار الموفق لبعض الحلي والأصباغ المنسجمة مع لون البشرة والثياب ، والنظافة المستمرة . فالمرأة فنانة تستطيع ببراعتها أن ترسم لزوجها كل يوم صورة زاهية تتحرك أمام ناظريه ، وبذلك فهي تأسر قلب زوجها وتصرف نظره عمن سواها[٢] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) انظر : ابراهيم بن صالح المحمود : كيف تكسبين زوجك : ١/ ٣٠ .

والزينة مطلوبة من الزوج كما هي مطلوبة من الزوجة سواء بسواء ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : إني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين هي لي . ذلك لقوله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة :٢٢٨] .

ومن هنا قال العلماء : يستحب للرجل أن يهتم بزينة نفسه مع زوجته ، كما عليها أن تكون كذلك معه ، فينظف نفسه ، ويزيل عرقه ، ويغير الرائحة الكريهة من جسمه وفمه وتحت إبطيه ، ويقلم أظفاره ، ويلبس خير الملابس المناسبة ، ويدهن شعره ويرجِّله بالمشط ، ويشذب شعر رأسه ولحيته ؛ حتى لا يكون على هيئة منفرة . يفعل ذلك ليكون عند امرأته في زينة تسرها . وليعفها عن الرجال . كل هذا بما يتفق مع رجولته ، وليحذر التشبه بالنساء .

٦- الغيرة المحمودة:

الرجل ، كما سبق ، مسؤول عن زوجته مسؤولية كاملة أمام الله وأمام الناس ، ويوم يتخلى الرجل عن مسؤوليته ويترك امرأته تفعل ما تشاء ولو خالفت الشرع والعرف الاجتماعي فإن الناس يزدرونه ، ويأخذون عليه أنه لا شخصية له ، حتى جرى بين الناس أن يقولوا عن مثل هذا الرجل : (إنه تُسيِّره امرأة) ، (إن الأمر والنهي ليسا بيده) ، (إنه ابن امرأته) ، (امرأته أرجل منه) .. إلخ . والعجيب أن المرأة تحتقر زوجها إذا لم يكن له شخصية تصدُر الأمر والنهى . وتحب أن تكون الكلمة الأخيرة له . وكثرت شكاوى الكثير من النساء بسبب انعدام شخصية أزواجهن أو آبائهن أو إخوانهن .

إن المرأة دائماً تحب أن تستند إلى رجل له شخصية قوية .... شخصية ذات قوة نفسية ، وذات اعتزاز بكلمتها وحريتها وكرامتها . لأن هذا النوع هو الذي يستطيع أن يحمي المرأة من ذئاب الحياة ونباح كلابها . كما أنه هو الذي يمكن الاعتماد عليه في الملمات . وبه تعتز المرأة وتطاول به من يتعالى عليها .

وأهم مميزات الرجولة السوية الغيرة . كما أن هذه الغيرة من مميزات الأنوثة السوية أيضاً . والذي لا يغار لا يعتبر في نظر المجتمع ولا في نظر الدين إنساناً ذا كرامة أو عزة نفس أو حياء .

ومعنى الغيرة : أن تأخذ الإنسان الأنفة والحمية والغضب إذا شعر أن غيره يريد أن يشاركه في أهله ، ومن هم في حوزته أو من خصوصياته .

فالرجل يغار على امرأته ولا يرضى أن يشاركه أحد في النظر إلى جمالها وعورتها . وكذلك تغار المرأة على زوجها ولا ترضى أن تشاركها امرأة فيما هو من خصوصيات المرأة مع زوجها . والإنسان الغيور هو الإنسان الطبيعي والذي لا يغار هو إنسان شاذ ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله تعالى يغار ، والمؤمن يغار»[١] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «إني لغيور ، وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب»[٢] .

إن من مظاهر إكرام الزوج وتقديره لزوجته أن يغار عليها ، فيصونها عن كل ما يدنس شرفها ، وأن لا يسكت على تقصيرها في واجب أو إتيانها لمخالفة في أمر ديني .

ومن مظاهر هذه الغيرة[٣] :

١ ـ أن لا يقرها على الإذن لغير المحارم من الرجال ، أو من لا يطمئن إلى خلقها ودينها من النساء بالدخول إلى بيته في غيابه ، وأن لا يدخل عليها من لا يخاف الله من الرجال . يقول ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء» . والديوث هو الذي يقر الخبث على أهله .

---

(١) متفق عليه .
(٢) حسن أيوب : مرجع سابق ، ص (٢٠٩) .
(٣) محمد عقلة : نظام الأسرة في الإسلام ، مرجع سابق : (٢/ ٥٣) ، وعبد المتعال الجبري : المرأة في التصور الإسلامي ، ص (١٧٢) .

٢ ـ أن لا يأذن لها بالخروج إلى الأماكن العامة ، وغشيان مجتمعات الرجال ومجالسهم ، كي يصونها من امتداد العيون إليها ، فقد أثر عن الحسن قوله : أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق !! قبح الله من لا يغار .

٣ ـ أن لا يأذن لها بمخالطة زواره من الأجانب غير المحارم ولو كانوا أقارب أو أصدقاء ، فإن الاختلاط لا يأت بخير ، بل إن الشرور غالباً ما تنتاب الأسرة ممن تكثر مخالطتهم من أهل وأصحاب .

ومن باب الغيرة المحمودة ألا يجعل الزوجان مما يحصل بينهما في بيتهما مما لا يجوز أن يطلع عليه الآخرون حديثاً بين الناس ، فكل واحد من الزوجين مطالب بكتمان ما يراه من صاحبه ، أو يسمعه منه ، وهذا أدب عام حث عليه الإسلام ، ورغب فيه ، ولا سيما ما يقع بين الزوجين ، حيث يقول الرسول ﷺ : «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته ، وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[١] .

٧- **حسن المعاشرة** : وهو ما بسطنا الحديث فيه في الفصل التالي .

---

(١) أخرجه مسلم .

الفصل الثالث

حسن المعاشرة

يعد حسن المعاشرة[١] من أعظم الحقوق المشتركة بين الزوجين ، ويأتي تتويجاً لكافة الحقوق والواجبات التي سبق بيانها ، بيد أننا رأينا أن نفرد له فصلاً خاصًّا هنا لأهميته في العلاقة بين الزوجين من جهة ، ولخصوبة الحديث فيه ، وغزارة النصوص والأخبار المتعلقة به ، ذلك أن حسن العشرة ، بين الزوجين وتحبب كل منهما إلى صاحبه ، وإظهار المودة وتبادل الكلمات الطيبة مما لا تتم السعادة إلا به ، وقد أوضح الإسلام أن حياة الرجل والمرأة معاً في إطار الأسرة إنما قصد بها التعاون على تهيئة الظروف المثلى التي يجد كل منهما خلالها طلبته ومبتغاه . وقد جعله الإسلام يقوم على ميثاق غليظ مؤكد وعهد مشهود بين الزوجين أن يعمل كل منهما من أجل الآخر ، وأن يتعاضدا ويتآزرا لبلوغ السعادة المشتركة .

وتلك هي علاقة السكن التي نجدها في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] . وعلاقة المودة والرحمة في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ١٢] .

وكل ما بين الزوجين يندرج تحت هذا وينبثق منه . وقد اهتم الإسلام بإبراز الصلة النفسية والروحية بين الزوجين وتأكيد ما بينهما من رباط قوي وميثاق غليظ . فبينهما وشائج ثابتة وصلات متينة ، تحملهما على التراحم والتعاطف ، وتعصمهما من البغي والعدوان ، يجد كل منهما في

---

(١) المعاشرة تعني : المخالطة والمصاحبة . (المعجم الوسيط) .

ظل هذه الرابطة المتينة لدى صاحبه السعادة والإعانة والإيناس ، إن اتقى ربه فيها وأقام علاقته به على الإخلاص والوفاء[١] . .

ولما كانت المرأة أضعف جسماً وأرق قلباً وأكثر عاطفةً وأسرع تأثراً من الرجل فقد كان اهتمام الإسلام بجانب المرأة أكبر من اهتمامه بالرجل ، ومن هنا فقد تضافرت النصوص والأقوال التي تحث الرجل على حسن معاشرة زوجته ، ولكن دون أن تغفل جانب المرأة في هذا الباب . فحسن العشرة خلق مطلوب من الطرفين .

لذلك فإن من حق الزوجة على زوجها أن يحسن عشرتها ويجمل معها التصرف ، فإن حياة يسودها العدل والنصفة ، ويجملها التسامح والرحمة ، لا تخلف ندوباً في القلوب ، ولا تترك منفذاً للشقاء والكدر .

قال الإمام الغزالي : وللمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف ، وأن يحسن خلقه معها . وليس من حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عن طيشها وغضبها[٢] . وأعلى من ذلك أن الرجل يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة ، فهي التي تطيب قلوب

---

(١) مصطفى عبد الواحد ، مرجع سابق ، ص (٤٧ ـ ٥٠) .

(٢) وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً ، فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت ، وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال عمر : يا أخي إني أحتملها لحقوق لها علي : إنها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي ، وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام ، فأنا أحتملها ، فإذا أساءت مرة فليس لنا أن نذكر سيئاتها وننسى حسناتها . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي ، فقال عمر : فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة . [كتاب الكبائر للذهبي : ص ٢٠٦] .

النساء ، فقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق ، حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، فقال لها : «هذه بتلك» .

ثم لفت إلى سعة الأفق الذي ينبغي أن ينظر منه الرجل إلى امرأته ، فلا يحصر نظره في عيب يعلمه فيها ، أو خلق يكرهه منها ، بل يقدرها جملة بما فيها من مزايا وعيوب ، ويتهم نفسه في تقدير العيب ، فلعله متحامل عليها سيئ الظن بها ، ولعل فيها من الخير ما لم يلتفت إليه .

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [النساء :١٩] .

وعلى الزوج أن يتذكر ما فيها من فضائل وأن يستعرض ما تمتاز به من مواهب ، فربما أصلح ذلك الشأن وجدد العهد .

قال عليه الصلاة والسلام : «لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»(١) .

إن ذلك أجدى وأيسر ، ومهما نقب الإنسان فلن يجد بريئة من الشوائب خالية من العيوب .

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلُها كفى بالمرء نبلاً أن تُعدَّ معايبه(٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) مصطفى عبد الواحد ، مرجع سابق ، ص (٥٩ ، ٦٠) .

وكسرها طلاقها»[١] . والمعنى أن المرأة خلقها الله من عضو معوج ، فهي بطبيعتها وفطرتها مستعدة لأن تقع في الخطأ أكثر من استعداد زوجها لذلك ، فإذا أراد الرجل أن يحيا مع زوجته حياة طيبة سعيدة فليدرك أن خطأ زوجته أمر طبيعي فلا يكثر من اللوم والتأنيب والمؤاخذة ، ولا يحول الحياة إلى جحيم ، بل عليه أن يتساهل ويتسامح حتى يعيش في متعة وراحة واستقرار مع زوجته ، أما إن أراد محاسبتها على كل صغيرة وكبيرة محاولاً أن يجدها يوماً بلا أخطاء فإنه لن يجدها كذلك أبداً ، وتكون نتيجة تصلبه وتشدده كسراً للحياة الزوجية يترتب عليه الطلاق ، فإذا أدرك الرجل ذلك وفر على نفسه كثيراً من المتاعب . وكثيراً ما تحل المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية ، والنظرة الودود ، والمجاملة الرقيقة ، والأسلوب المهذب ، والخضوع اللين .

وقد كان ﷺ خير الناس معاشرة لأزواجه ورفقاً بهن وتسامحاً معهن . وقد كانت تبدر من بعضهن ما يبدر من أية امرأة أخرى أحياناً ، فما يغضب ولا يؤاخذ ، ولكن يعفو ويصفح .

قال رسول الله ﷺ :«إن الله يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه»[٢] .

ولذلك بات واجباً على كل من الزوجين الكريمين أن يحسن معاشرة الآخر ، وأن يعامله بالحسنى والمعروف ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . وقوله : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء :١٩] ، وقوله : ﴿ وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم . كتاب البر والصلة والآداب .

ويشمل حسن المعاشرة صوراً عديدةً ، منها [١] :

١ ـ أن يتجاوز كلٌ من الزوجين عن هفوات الآخر وأخطائه ، ولا سيما ما يقع منها عفو الخاطر ، وأن يلتمس لتلك الأخطاء العذر والتبرير ، وأن يبادر الطرف المسيء إلى الاعتذار للآخر . وهذا لا يتأتى إلا مع المحبة والتعقل وحسن النية والحرص على دوام الألفة والمودة .

٢ ـ أن لا يظهر أي من الزوجين اهتماماً بآخر أكثر من زوجه ، كأن يكثر الرجل من إطراء امرأة ، وأنها تفضل زوجته في خلقها أو جمالها . . وكذلك تفعل الزوجة . فإن من شأن ذلك إحداث الجفوة والوحشة بينهما .

٣ ـ أن يكرم كل من الزوجين أهل الآخر وذويه ويحترمهم ، وأن يحسن وفادتهم إذا قدموا عليهما .

٤ ـ أن يشكر كل منهما صنيع الآخر ، فإذا أتقن أحد منهما عملاً ، أو أحسن إلى الآخر ، أو قدم له هدية ، شكره على ذلك وبارك جهده . قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : إذا قصرت يدك بالمكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

٥ ـ أن لا يذم أي منهما أمام الآخر أحداً بعيب يكون في صاحبه ولو مازحاً ، سواء أكان عيباً خلقياً من عور أو عرج أو غيره ، أم نقيصةً اجتماعيةً كفقر أو عدم نيل شهادة علمية أو بساطة مركز وظيفي أو تواضع مهنة . . إلخ .

٦ ـ أن يشارك كل منهما الآخر في أفراحه وأحزانه وهمومه ، فلا يظهر الفرح حال حزن الآخر ، ولا يظهر الحزن حالة فرحه ، أو لا يبدي اهتماماً بمشاعره .

---

(١) انظر : محمد عقلة ، مرجع سابق ، ص (١٨/٢ ، ١٩ ، ٢٠٣) .

ومن حسن العشرة أن يكون الزوج طلق الوجه مع زوجته ، يحسن اختيار الكلمة الطيبة الحلوة ، ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولاده ، ويحاول أن يسرّي عنها إذا غضبت ، ويخفف عنها إذا تعبت ، ويقوم بواجبه نحوها إذا مرضت ، ويساعدها أحياناً في عمل البيت كما كان يفعل رسول الله ﷺ مع نسائه ، وإذا خلا بها تبسط معها ومازحها وداعبها ، وليذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك مع نسائه وهو رسول الله وقد تجاوزت سنه الستين ، وذلك لأنه يعلم أن تطييب قلوبهن من حسن الخلق وحسن العشرة ، وليكون أسوةً لأمته .

ولو أنك مازحت زوجتك وداعبتها تبتغي بذلك إدخال السرور على قلبها لوجه الله تعالى لكان لك في ذلك حسنة توضع في ميزانك ؛ لأن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص : «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك»[١] .

ولأن بعض الأزواج ربما أخطأ في فهم هذا الحق والوفاء به مأخوذ بتسلط الرجولة ، وبسوء فهم ما منحه الإسلام من القوامة على الزوجة ، فيشتط في معاملتها ، ويحمله ذلك على استضعافها . فلقد أمر الإسلام الأزواج ، بحسن معاشرة الزوجات ، ومخالقتهن بخلق حسن . يقول سبحانه :﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [النساء :١٩] ويقول صلى الله عليه وسلم : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي»[٢] ، ويقول : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله»[٣] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه الترمذي .

ولذلك فعلى الزوج أن يحسن معاشرة زوجته بأن يحفظ كرامتها فلا يهينها بقول أو فعل ، وأن يناديها بأحب الأسماء إليها . يقول صلى الله عليه وسلم : «ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم»[١] ، وأن يصفح عنها إذا أخطأت ، ويتجاوز عن غضبها لما جُبلت عليه من سرعة الانفعال والغضب . يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو هريرة : «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإذا ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً» ، وأن يداعبها ويلاطفها بالطيب والبريء من القول والفعل كالسمر المهذب والرحلة البريئة ، فيروح بذلك عن نفسها ، ويطيب قلبها ، وينشطها للعمل ويقربها إليه[٢] . وقد كان رسول الله ﷺ يحض أصحابه على هذا النمط من المعاشرة الزوجية ، فقال لجابر رضي الله عنه : هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك؟[٣] . وأن يقدم لها الهدايا في المناسبات المختلفة وحتى بدون مناسبة إدخالاً للسرور على قلبها ، وتوثيقاً لروابط الألفة والمودة بينهما . لقوله ﷺ تهادوا تحابوا[٤] .

وقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة لأمته في ذلك ، فما ضرب

---

(١) رواه ابن عساكر . الجامع الصغير : ١١/٢

(٢) وينبغي أن يلاحظ أن المداعبة والملاطفة لا يصح أن تتجاوز حدودها بحيث تفسد خلق المرأة ، وتذهب بهيبة الرجل ، فالاعتدال هو المطلوب ، فلا يقسو على المرأة ، ولا ينقاد لها في أهوائها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء» . كما أن عليه ـ مهما تبسّط للمرأة ـ أن يحتفظ بأصول الرجولة والمروءة والحياء ، ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً . (حسن أيوب : ٢٠٧) .

(٣) متفق عليه .

(٤) من حديث رواه الإمام مالك في «الموطأ» . وفي رواية : «تهادوا ، فإن الهدية تذهب وَحَر الصدر» . والوحر : الحقد والغيظ ووساوس الصدر .

امرأة ولا خادماً ، وإذا رأى شيئاً لم يعجبه قال : «قدر الله وما شاء فعل» . وكان من لطفه وحسن خلقه أنه يمكّن السيدة عائشة من اللعب ، ويسمح لها بمشاهدة الحبشة وهم يلعبون في مسجده . وهي متكئة على كتفه تنظر[١] .

ومن جانب آخر فإن المرأة التي تطيع زوجها وتحسن عشرته تكسب ثقته ودوام حبه وشعوره بالسعادة معها ، فيعطيها أضعاف ما تعطيه ، حتى يصل الأمر إلى أن الزوجة في الحقيقة هي التي تجعل زوجها ملبياً كل رغباتها ، بل سعيدا كل السعادة وهو يلبي تلك الرغبات ، فيؤول الأمر إلى أن الزوج هو الذي يطيع زوجته ، وكلما أسبغت المرأة عل زوجها من عواطفها ورقتها وحسن اهتمامها به ، ملكت عليه قلبه وأشعرته بأن سعادته لا تكون إلا معها وبصحبتها[٢] .

وقد أجمع العلماء على أن المرأة الحسنة الخلق تستميل قلب زوجها ، وتجمع حولها بنيها وذوي قرباها ، ولا ينفر منها أحد ، ولا سيما إذا اقترن حسن الخلق بلطف المحادثة . جاء في الشريعة العبرية ما نصه : عيوب الخلق التي تجيز الطلاق هي : الوقاحة ، والثرثرة ، والوساخة ، والإسراف ، والشكاسة ، والعناد ، والنهمة ، والبطنة والتأنق في الطعام ، والبهرجة .

والمرأة الجميلة الطبع المهذبة الأخلاق لا تروي على مسامع زوجها إلا ما يحسن سماعه ، أما المرأة السيئة الخلق فتثير الهموم وتجلب الأتراح وتنغص العيش ، وتذهب بالراحة وتطوي بساط الأنس والانشراح .

---

(١) أنور عاشور ، الزواج وآداب الزفاف ، ص ٧٤ .

(٢) حسن أيوب ، مرجع سابق : ٢٢٥ .

فعلى المرأة التي تحب زوجها أن تلطف جو البيت ، وتطفىء غضب زوجها بالكلمة المعسولة والابتسامة الشفافة ، وبتقرب ودود ولمسة حنون ؛ فإن ذلك يمسح متاعب اليوم عن كاهله ويزرع في قلبه الحب لليد التي تربت على كتفه ، فإذا به ينقلب إلى هذه اليد يقبلها وإلى صاحبتها يحتضنها ، فيبادلها حباً بحب وحنواً بحنو . والزوجة اللطيفة التي إذا ما استمرت على هذا السلوك الودود فإنها مع الأيام تكسب قلب زوجها وعقله ، وسيشعر نحوها بالحب الدائم والراحة النفسية ، ولا يرى في الدنيا على رحابتها وجمالها إلا جمال زوجته التي في كنفه ، وبالتالي فإنه سيحرص دائماً على رضاها ، ويغض الطرف عن أخطائها وعيوبها وإن عظمت .

يقول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عَيب كَليلة   لكن عين السُّخط تُبدي المساويا

فإذا عرف الزوجان الكريمان حقوقهما وواجباتهما تجاه بعضهما البعض وتجاه أولادهما وأرحامهما ، وقام كل منهما بواجبه نحو الآخر على الوجه الذي يرضي الله تعالى ، انتفت حينئذ دواعي الخلاف وتلاشت مبررات النزاع ، وعاشا معاً في ظل بيت هنيء تملؤه البهجة والسرور ، وترفرف في أرجائه السعادة والهناء .

ولكن إذا لم يقم أحدهما أو كلاهما بواجبه نحو الآخر ، فإن الآخر ، بطبيعة الحال ، سيشعر عندها بنقصان حقه فيطالب به ، وقد تكون المطالبة بأسلوب فظ غليظ ، وحينئذ يحتدم الخلاف ويشتد الصراع . وإزاء ذلك لابد أن تكون لديهما المعرفة الكافية بأساليب حل الخلاف بينهما ومعالجة ما داخل نفسيهما ، وهو ما سنبينه في الفصول التالية من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

الخلاف بين الزوجين[١]

أوضح الإسلام أن حياة الرجل والمرأة معاً في إطار الأسرة إنما قصد بها التعاون على تهيئة الظروف المثلى التي يجد كل منهما في ظلالها طلبته ومبتغاه ، فليس الزواج شركة يبغي كل طرف فيها الربح له وحده ولا يبالي بخسارة الآخرين ، بل هو ميثاق مؤكد وعهد مشهود بين الزوجين أن يعمل كل منهما من أجل الآخر ، وأن يتعاضدا ويتآزرا لبلوغ السعادة المشتركة ، وتلك هي علاقة السكن التي نجدها في قولة تعالى : ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف :١٨٩] . وعلاقة المودة والرحمة في قوله سبحانه : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم :٢١] . وكل ما بين الزوجين يندرج تحت هذا وينبثق منه . وقد اهتم الإسلام بإبراز الصلة النفسية والروحية بين الزوجين وتأكيد ما بينهما من رباط قوي وميثاق غليظ . فبينهما وشائج ثابتة وصلات متينة تحملهما على التراحم والتآلف ، وتعصمهما من البغي والعدوان . فهما من نفس واحدة تربطهما كل خصائص هذه النفس وأواصرها . ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء :١] .

ورعاية هذا الأصل الواحد تحيط علاقة الزوجين بالحب والمرحمة وتوجههما إلى البر والتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ

(١) مادة هذا الفصل مقتبسة بجملتها من كتابنا "فن إصلاح ذات البين" بيد أنها جاءت هنا بصورة أوسع وأشمل منها هناك ، وفيها تعديلات كثيرة وإضافات مهمة ؛ ذلك لأنها محور هذا الكتاب ، والباعثة على إعداده بهذه الصورة التي بين يديك .

اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء :١].

ولكل منهما لدى صاحبه السعادة والإعانة والإيناس إن اتقى ربه فيه وأقام علاقته به على الإخلاص والوفاء. وقد أوصى الإسلام الرجال بالنساء واستثار فيهم عاطفة الرحمة ، واستجاش خلق الوفاء . فقد أخذوا النساء بأمانة الله واستحلوهن بإذنه ، وجدير بالمؤمن أن يحفظ الأمانة ويرعى العهد ويتجنب الكيد والإيذاء.

قال النبي صلى الله علية وسلم : «استوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» فجعل للزوجة قداسة الأمانة وحرمة العهد ، واعتبر رعايتها ورحمتها قربة إلى الله وسبيلاً لرضاه . وهذه الوصية منظور فيها إلى قوة الرجل وقوامته . فإذا رفعت العلاقة إلى درجة الأمانة وفوضت الرقابة فيها إلى الله انتفى الطغيان وانمحى البأس وكفت خشية الله نوازع الشر والهوى.

كما اتجهت الوصية بالنساء اتجاهاً آخر روعي فيه رفع الحرج عنهن وإعفاؤهن من الحساب المعنت والمؤاخذة الشديدة ، فيتجاوز الرجل ويعفو إذ يذكر أن التكوين النفسي للمرأة لا يناسبه شدة الحساب ، وإن عاطفتها المتقلبة وإحساسها الرقيق وطموحها إلى النعيم والترف ربما يخطىء حكمها على بعض الأشياء ، ويخدع نظرها إلى بعض الأمور ، وأنها قد تغضب من التافه الحقير كما قد ترضى بالقليل اليسير ؛ فليس لها المحاكمة المستقصية والمناقشة العسيرة. وهذا ما يعنيه الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : «استوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج».

والرجل يحس برداً وروحاً حين يعلم أن هذه طبيعة المرأة ، فيتقبلها

كما هي ويأخذ نفسه بالحكمة معها والصبر عليها ، ولا يجنح إلى الخيال ولا يتطلب الكمال . وهذا طريق من طرق الأمانة بين الزوجين يذهب عن الزوجة عنت المؤاخذة ويقيها استقصاء الحساب [١] .

ورغم ما وضعه الإسلام من أسس وما أقامه من دعائم لبناء الأسرة وحمايتها ، فإنه لم يفترض أن تسود المثالية ، وأن لا يقع أي خطأ في السلوك والتقدير . فإن من شأن البشر أن يعرض بينهم الخلاف ، وأن يثور النزاع ، عند تعارض الرغبات أو نفور الطباع مع ما في الأسرة من احتكاك وملاصقة قد تحدث الملل وتلبد الجو . لذا اعترف الإسلام بإمكان حدوث الشقاق والتصدع في مجال الأسرة ، وعنى بعلاجه ، ونبه إلى أسبابه وسار مع الواقع إلى مداه ، ولم يرض عن الكبت والتجاهل ، فالكبت والتجاهل لا يغنيان إزاء مشكلات الحياة شيئاً [٢] .

أسباب الخلافات الزوجية :

إن أكثر أسباب الخلافات الزوجية شيوعاً وتأثيراً ما يمكن أن يندرج فيما يلي :

أولاً : أنانية أحد الزوجين أو كليهما :

الأنانية أو الأثرة داء عضال وإسراف في حب الذات وإهمال حق الغير ، وقد يترافق ذلك مع عدم منفعة الآخر وعدم احترام لشخصيته . وهذا مخالف للإسلام وللشراكة الزوجية التي ينبغي أن تبنى على التضحية وعلى العطاء قبل الأخذ .

والأنانية أساس جميع الرذائل والجرائم ، فمتى استبدل بها الإيثار

---

(١) مصطفى عبد الواحد ، مرجع سابق . ص (٤٧ ، ٤٨) .

(٢) مصطفى عبد الواحد ، المرجع نفسه . ص ٩٣ .

أصبح صاحبها من كبار الصالحين . وليس مثل الخوف من الله تعالى والتربية الإسلامية ، واعظاً ومؤدباً ومصلحاً . والإصلاح لا يتم إلا بالتدريج والممارسة والإيحاء ، وقد جاء في الأثر : «إنما الحلم بالتحلُّم ، وإنما العلم بالتعلُّم ، ومن يبتغ الخير يلقه ، ومن يتق الشر يوقه» [١] . وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تدعو إلى التضحية والإيثار ، منها قوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر :٩].

وقوله عليه الصلاة والسلام : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» [٢] .

ثانياً - الغيرة المذمومة *:

تعرف الغيرة بأنها خوف صاحبها من أن يحتل مزاحم مكانه . كما تعرف بأنها : أنفة مع الحمية وكره شركة الغير . وهي انفعال مركب ، أي أنها ـ بهذا المعنى ـ مزيج غريب من الانفعالات المختلفة ، وغالباً ما يرفض الفرد الاعتراف بها ، ويحاول جاهداً أن يخفيها لأنها تزيد من شعوره بالمهانة والنقص ، وهي تنطوي في جوهرها على كره شخصي لشخص آخر من أجل علاقة الاثنين بشخص ثالث يتنافسان على امتلاكه أو امتلاك قلبه ومودته .

---

(١) انظر : كشف الخفاء للعجلوني ١ / ٢٤٩ .

(٢) متفق عليه

* جاء في الحديث : «ان الله يغار ، والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله» .
قال بعض أهل العلم : «وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة ، فالمؤمن الذي يغار في محل الغيرة ، قد وافق ربه في صفة من صفاته ، ومن وافقه في صفة منها كانت تلك الصفة بزمامه وأدخلته عليه وقربته من رحمته» .

ويرى علماء النفس أن أهم مكونات الغيرة خوف الفرد على فقدان من يحب ، وكره لمنافسه عليه ، ورغبته في إيذائه أو إبعاده ، وشعوره بالنقص ، ونقده للذات الذي قد يتحول إلى شعور بالذنب. وخوف الفرد على فقدان من يحب سلوكٌ أناني ؛ لأنه ينطوي على رغبة في امتلاك الشخص الآخر. وظاهرة الغيرة تبرز في حياة الأطفال كما تبرز في حياة الكبار سواء بسواء. وبروزها في حياة الطفل قد يكون بسبب ولادة أخ أو أخت صغيرة ، فيغار منه أو منها. ويصور له عقله الصغير أن هذا القادم سيستأثر بمحبة والديه ، ويحرمه من حنانهما ورعايتهما ، وهذا السبب قد لا يكون قائماً بالضرورة. وأن قيامه يتوقف على طريقة معاملة الوالدين للطفل ، وقد يكون بسبب تفرقة الوالدين في معاملة أبنائهما ، كاعتنائهما بالذكور أكثر من الإناث ، أو بأحد الأبناء دون الآخرين لكونه مؤدباً أو مجتهداً في دروسه بينما الآخرون دونه في السلوك والاجتهاد.

ويترتب على صفة الغيرة آثار سلبية على الطفل حاضراً ومستقبلاً ، منها : أن الأب الذي يحابي أحد أبنائه يغيظ أبناءه الآخرين ، فيغارون من أخيهم صاحب الحظوة ، وقد يلحقون به الأذى ، كما تستمر العداوة وسلوك النفور بينهم حتى بعد البلوغ ، حيث إن الغيرة تقترن عادة بالسلوك العدواني*[1].

أما بروزها عند الكبار فقد يكون أحد أسبابه التنافس الشديد بين امرأتين على قلب رجل واحد ، أو رجلين على قلب امرأة ، فإذا ما حظي بها أحدهما ولّد ذلك إحساساً بالنفور والكره وربما العداوة في قلب

---

* ولنا في قصة يوسف عليه السلام عبرة ، فقد حظي بعناية والده المميزة دون إخوته ، مما أثار غيرة إخوته منه ، فكان أن استدرجوه حتى ألقوه في غيابة الجب ، وكان من أمره ما كان.

(١) انظر : محمد عقلة : تربية الأولاد في الإسلام ص (٢٢٤ ـ ٢٢٦).

الآخر ، وقد يفضي الأمر إلى خصومة تمتد زمناً طويلاً ، وكذلك الأمر بالنسبة للنساء ، ولا سيما إذا اجتمعت ضرتان أو أكثر تحت رجل واحد ، فإذا كان يحابي إحداهما أو إحداهن على حساب الأخرى ولد ذلك شعوراً بالعداوة تجاه ضرتها . وخصوصاً إذا اجتمعت الضرتان في بيت واحد. ولذلك فمن الخطأ الجسيم ان يجمع رجل زوجتيه أو زوجاته في بيت واحد ، كل منهن تراقب سلوك زوجها مع زوجاته الأخريات ، فتأكل قلبها الغيرة كلما رأته يبتسم لإحداهن أو يمازحها أو يظهر منه ميل نحوها .

ولذلك يجب أن يتخذ لكل منهن بيتاً خاصاً بها تأنس به وحده ، ولا تزاحمها فيه امرأة أخرى . ولا بأس أن يجتمعن معاً في بيت إحداهن كصديقات في ظل زوج واع ، لتناول طعام جماعي أو سهرة جماعية أو يعملن عملاً مشتركاً ، شريطة أن يكون هو في معزل عنهن ، أو يكون محايداً في سلوكه ، يحادثهن ويمازحهن بصيغة الجمع ، دون أن يسمي فلانة أو أم فلان ، أو يحادثهن بحديث عادي بعيد عن علاقته بزوجاته .

إن الغيرة سبب الشقاء وتصدع البيوت ، وما أشقى المرأة الغيورة وما أتعس حياتها . قالت إحدى الخبيرات : «كانت لي صديقة كثيرة الشكوك ، شديدة الغيرة ، فإذا خرج زوجها ، أو ضرب موعداً ، أو تكلم في الهاتف ، أو حرر رسالة ، أو أطرق مفكراً ، أو بدا منشرحاً ، أو أرسل ابتسامة ، أيقنت أن هناك امرأة أخرى في حياته !! وعجزت هذه الزوجة الحمقاء عن أخذ نفسها بالحكمة ، واستئصال مرضها المرذول إلى أن حرمت نفسها من زوج لا عيب فيه . وقد تطرق الغيرة رأس المرأة أو الرجل ، ولكن من الواجب طردها ، وذلك في طوق كل إنسان عاقل . ولكن العلاج يكون قبل ظهور الشيء ، وإلا استفحل وتطور إلى شقاء دائم .

إن من واجب كل من الزوجين أن يكون عاقلاً رزيناً ، لا يجعل الشك والريبة أمام ناظريه وفي قلبه. فيعكر حياته ويهدد كيان أسرته بالخراب نتيجة الظنون والوساوس الشيطانية وخلل في غريزة حب التملك[(١)] .

كتب أحدهم يقول : «ينبغي أن تكون المرأة محامية عن زوجها تدافع عنه ، لا موظف مخابرات تسأله دائماً عند دخول البيت : أين كنت ؟ وماذا فعلت ؟ لماذا تأخرت ؟ من حدثت ؟ ماذا كنت تقول ؟ .. تكلم بصراحة» .

وكتب آخر ما ملخصه : «الغيرة كسائر الأمراض النفسية تفتك بصاحبها ، فيختل توازنه ، ويضطرب حبل شخصيته ، وتضطرب حياته الوجدانية ، وينبري جسمه ، وتنحط قواه العقلية ، ويقل إنتاجه ...

والغيرة كالشعور بالنقص ، لا بأس بها في الأحوال العادية ، إذ إنها ضرب من الدفاع عن النفس ، ووازع طبيعي للمنافسة الشريفة ، والطموح وركوب متن السمو والأماني. هذا هو الأصل.. بيد أنها تكون كسائر الصفات والطبائع والنزعات الحسنة ، وقد تصبح وبالاً على المتصف بها ،

---

(١) «إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق» تحت هذا العنوان كتب أحدهم يقول : إن المرأة التي لا هم لها سوى تعقب حركات زوجها ، وتتبع أخباره ، والتشكك في كل تصرفاته ، والغيرة من معارفه وأصدقائه ـ لا ريب أنها حمقاء تنفصم بأفعالها تلك عرى المحبة والثقة بينها وبين زوجها . ويجدر بالمرأة لو فقدت أعصابها لأي سبب من الأسباب ، فغارت غيرة في غير موضعها ، أن تعترف بخطئها ، وتصلح ما أفسدته ، والأهم من ذلك أن لا تكرر خطأها مرة أخرى . ومن طريف ما يرويه المحدثون عن أنس قال : «أهدى بعض نساء النبي ﷺ له قصعة فيها ثريد ، وهو في بيت بعض نسائه ، فضربت عائشة يد الخادم فانكسرت القصعة ، فجعل النبي يأخذ الثريد ويرده في القصعة ويقول : «كلوا غارت أمكم» ، وفي رواية أخرى : أن السيدة عائشة ندمت على ذلك ، وقالت : يا رسول الله ، ما كفارة ما صنعت ؟ قال : «إناء مثل إناء ، وطعام مثل طعام» [انظر : المرأة المثالية في أعين الرجال. ص ٥٠] .

فتبطش به بطشاً إذا ما أسرف فيها».

ومما يؤسف له أن معظم ما يسمونه الغيرة الزوجية كثيراً ما تقود أصحابها إلى مواطن التهلكة والتعاسة. بل إلى الانتحار، وارتكاب جريمة القتل. وكثيراً ما تكون هذه الغيرة لا أساس لها من الصحة.. ومن العسير جداً أن يستطيع معالجة الزوج الغيور سوى زوجته[١].

ثالثاً – ضعف الإشباع الجنسي أو عدمه:

هناك سبب خفي للبغضاء والاختلاف ويؤدي للنشوز نقوله بصراحة: وهو عدم إشباع الغريزة الجنسية، وخاصة في عدم توافق الاستجابة بين الزوجين، والواقع أن العلاقات الجنسية الأولى في الزواج قد تكون مخيبة للظنون إلى حد ما. ويجد كثير من حديثي الزواج أنفسهم في مواقف يشيع فيها الاضطراب، إما لأنهم لم تكن لهم خبرة سابقة، وإما لأن خبراتهم كانت بمواقف تختلف ظروفها عن هذا الموقف. وغالباً ما يكونون في حالة توتر في بادئ الأمر، لمجرد أن كلاً من الزوجين مشوق للآخر، ويكن له الحب الكثير، وأحياناً ما تؤدي مشاعر الذنب والأسف والخوف إلى زيادة الاضطراب. ولكن ما إن يحل الاستقرار والهدوء محل ذلك التوتر، حتى تصبح علاقتهما أكثر إشباعاً ومتعة.

وتتطور مهارة الزوج والزوجة عندما تتم الألفة، وترفع الكلفة بينهما. ويصبح كل منهما أكثر استجابة لرغبة الآخر. وفي الزواج الناجح تصبح العلاقات الجنسية أكثر إشباعاً على مر الأعوام. وليس من الصواب أن نتوقع وصول هذا الإشباع إلى ذروته في الليلة الأولى، أو حتى في الشهور القليلة الأولى للزواج.

---

(١) انظر: تحفة العروس، ص (٣٨٧ـ٣٩٢).

وعندما يتم زواج الشاب بفتاة ويستقران معاً في ألفة تامة ، فإن عليهما أن يتعلما كيف يستجيب كل منهما للآخر . بيد أن الاستجابة تختلف في كل من الرجل والمرأة ، فالرجال يستثارون بسرعة وسهولة أكثر من النساء . وتحتاج النساء إلى قدر أكبر من الملاطفة ، وإلى إعداد وتمهيد ، وعندما تحصل الاستجابة فغالباً ما تستغرق وقتاً أطول .

رابعاً – تدخل الحموات:

قد يكون سلوك الحموات وتدخلهن في حياة الزوجين من أسباب وقوع الخلاف بين الزوجين ونشوزهما . وكل ذلك قد يكون نتيجة الغيرة وسوء التدبير ، وحب التسلط والتحكم بالأسرة الجديدة ، ومع ذلك فربما تخرج كلمة طيبة من فم الزوجة أو الزوج تطيب القلوب وتجعل من المشكلة برداً وسلاماً ، ونذكر فيما يلي بحثاً طريفاً في هذا الموضوع :

هل الحموات كوارث حقا ؟

لا بد أن هناك أسباباً وراء الفكرة السيئة التي في أذهان الناس عن الحماة في مجتمعنا . ولا بد أن هناك جذوراً وراء انتشار تلك الفكاهات عن الحموات ، ووراء تجنب الأزواج والزوجات الاختلاط أو الاشتراك في حياة واحدة معهن .

إن الأم في الطبقة المتوسطة التي بلغت السنوات الوسطى من عمرها والتي أنجبت ثلاثة من الشباب ، تجد نفسها بعد زواج أولادها قد تركت وحيدة . لقد أمضت سنوات من حياتها وهبت نفسها فيها لتربية أطفالها ، وكبر هؤلاء الأطفال ، وغادروا المنزل واحداً بعد الآخر ، وعادة ما تكون اهتماماتها الأخرى ـ بعد الأطفال ـ سطحية وعابرة ، وغالباً ما يكون زوجها مشغولاً عنها بشؤونه الخاصة . واذا لم يكن لديها أي عمل حقيقي

يشغلها ، فإنها تستمر تحوم حول أولادها . وقد يتطور الأمر إلى خطر التدخل في شؤونهم . والأزواج الأسوياء يريدون أن يعالجوا شؤونهم بأنفسهم ويعارضون تدخل أمهاتهم في حياتهم ، ولهذه الأسباب ظهرت أساليب دفاعية ضد الحماة الفضولية في صور فكاهات ونوادر مكشوفة .

وبديهي أننا جميعاً ندرك أن هذا الاتجاه العام ـ كأي تعميمات أخرى ـ له حدوده ، وقد يكون فيه تجن لا ينطبق على كل الحالات . واهتمام عدد كبير من الأمهات بأبنائهن الراشدين أمر طبيعي وسليم ، وقد تكون فيه مصلحة للأسرة الصغيرة ، وهناك أمهات كثيرات في سن الأربعين أو الخمسين أو حتى الستين ممن لديهن من الخبرة والحكمة ما يستطعن معه ـ إذا سمح لهن ـ تقديم مساعدات كبيرة إلى الأزواج والأسر الناشئة .

والوالدان خير سند في أوقات الأزمات ، فإذا احتاج الزوجان إلى ممرضة ولم يجداها ، حضرت الأم لتساعدهما ، ويستطيع الأبوان أن يقدما كثيراً من الخدمات التي تحتاج إليها الأسرة الصغيرة القريبة منهما في مناسبات كثيرة ، مثل فقد الزوج لعمله ، أو ميلاد طفل جديد ، أو النقل إلى منزل جديد ، أو إقامة أول حفلة كبيرة . ولا شك أن خبرتهما وحكمتهما ومعارفهما وأصدقاءهما وبُعد نظرهما وفلسفتهما ومعلوماتهما عن أولادهما واهتمامهما بشؤون المنزل الجديد ، كل ذلك له فائدة قيمة وكبيرة للأسرة الصغيرة .

إن عملية دعم الحياة الزوجية ليست لعبة بسيطة ، إنها تتطلب اهتمام شخصين راشدين هما الأبوان ، وكلما كان الزوجان أكثر نضجاً ، أمكنهما تجنب الخطر المترتب على تدخل آبائهما ، لأن لديهما من المقدرة والشجاعة الكافية ما يجعلهما يعيشان حياتهما الخاصة . وكذلك فإن الآباء الذين لديهم اهتماماتهم الخاصة بعيداً عن أولادهم ، قادرون على الاستمتاع

بصداقة أسر أبنائهم دون أن يتدخلوا في شؤونهم [١] .

خامساً - اختلاف الزوجين في العادات والقيم:

يدرك علماء الاجتماع الذين يهتمون بالأسرة أن حدوث الخلافات الزوجية شيء متوقع ، وهو أمر طبيعي ولا بد من حدوثه ، وليس فيه ما يدعو للانزعاج والخوف . ولأن الزواج يقوم بين شخصين مختلفين ، فقد تمر أوقات تتسع فيها هوة الخلافات بينهما . وإذا كان الزوج والزوجة من أسرتين متشابهتين تماماً ، فهناك ولا شك أشياء كثيرة يمكن أن يختلفا على طريقة القيام بها . والأمزجة والقيم قد تختلف . وقد لا تتوافق العادات البسيطة والميول الشخصية دائماً . وتزداد الاختلافات عمقاً إذا كان الزوج والزوجة قد نشآ في بيئات متباينة تبايناً كبيراً . ولا سيما في بداية عهدهما بالزواج ، ولكن الأمر يكون على خلاف ذلك عندما تتحد العادات والقيم وتذوب الفوارق الفكرية والنفسية بينهما .

سادساً - الإزعاجات خارج المنزل :

ليست جميع الصراعات المنزلية ذات منشأ داخلي دائماً ، فقد تنجم بعض الصراعات عن أسباب خارجية يتعرض لها أحد الزوجين ، فيعود إلى البيت منزعجاً متوتراً سرعان ما يفرغ غضبه داخل البيت لسبب بسيط أو تافه ، فيصنع خلافاً مفتعلاً لأنه لم يشف غليله خارج البيت ، فلعله هنا يبدد شحنة الغضب المتوقدة في صدره ، أو يزيل بعض الاحتقان الذي تولد لديه ، أو يحقق بعض النتائج التي أخفق في تحقيقها في الخارج .

وتبدأ معظم المشاجرات بأشياء تافهة . وسرعان ما تفلت معها أعصاب أحد الزوجين . وفي لحظات قد يتطور الأمر فتصل ثورة أحدهما أو كلاهما

(١) انظر : تحفة العروس . ص (٤٠٣) .

إلى ذروتها . وهذا الأمر كثير الحدوث . وفي مثل هذه الحالات يساعد انفراد الإنسان بنفسه بعض الوقت ، أو المشي في الهواء الطلق ، أو النوم ، على منح الزوجين فرصة من الوقت يتمثلان فيها المشاعر والانفعالات ، ويتهيآن معاً لمعالجة مشكلاتهما وفض ما بينهما من نزاع .

سابعاً ــ طلب المثاليات:

يتوقع كل خاطب من خطيبه أشياء مثالية يرسمها في خياله ويتمناها ويقدم على الزواج منه والارتباط به ؛ لاعتقاده أن الصفات والأخلاق التي يرومها موجودة فيه ، ولكنه يفاجأ ـ في حالات كثيرة ـ أن الصورة التي بين يديه غير تلك التي كان يتوقعها ويحلم بها ، وربما تكون أدنى بكثير مما كان يتوقعه ، فليس الجمال الذي كان يراه هو ذاته الذي بين يديه الآن ، وليس السلوك الذي يجده لدى شريك حياته هو ذات السلوك الذي كان يحلم به ، أو الذي وعد به ، ولم يعد يسمع الكلام المعسول الذي كان أيام الخطبة أو بُعَيد يوم الزواج بأيام ، وحتى الطعام . . آه نسي أن يطلب منها إعداد وجبة من الطعام ليعرف مدى قدرتها على إعداد طعام جيد ، ولكن الطعام الذي يأكله الآن ليس بالجودة المأمولة ... وفوجئ بمطالب مالية ومجاملات اجتماعية لم تكن من قبل ، وفوجئت هي بعصبية ما كانت تعهدها به من قبل ، وأخذت تلمس بعض العناد الذي لم يكن يتصف به أثناء الخطبة ، حيث كانت مطالبها آنذاك ملباة جميعها دون تردد أو تفكير . وحتى الأناقة تغيرت لدى الطرفين . .!!

إن إصرار الزوج على طلب المثاليات من زوجته في الأناقة والحديث وحسن العشرة والطعام والسلوك مع الأهل والجيران والأصدقاء مع عدم قدرتها أو رغبتها على تحقيق ذلك يسبب له بعض المتاعب ، كما يسبب لها

متاعب كذلك. وان إصرارها هي على أن يبدو زوجها بعينها وبعيون صديقاتها كما تريد، وأن يعاشرها بالطريقة التي تدور في خيالها مع عدم ميل الزوج إلى ذلك يسبب للطرفين متاعب أيضاً، وقد يسبب بعض الخلافات والصدامات.

لا يمكن أن يكون الشريك تماماً كما يريد شريكه، ولا يمكن أن يخلو الشريكان من العيوب. وليس في الناس من هو ملاك من السماء، أو يتصف بصفات الأنبياء، إنهم بشر لهم نوازعهم ورغباتهم وأشواقهم وضروراتهم البشرية، ويتفاوتون في الأخلاق والطباع والأفكار والمشاعر والسلوك. وعلى الطرفين إدراك هذه الحقيقة والرضا بها، والتسليم الكامل بذلك، وألا ينسى الزوجان العزيزان قول الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

وقول الآخر:

تريدين زوجاً لا عيب فيه   وهل عود يفوح دون دخان

إن إدراك حقيقة أن شريك الحياة شخص بلا عيوب وبلا شخصية مستقلة، وبلا رغبات أو آمال أو تطلعات مختلفة أمر صعب إن لم يكن مستحيلاً، يجب أن يكون ماثلاً في أذهان الزوجين. ولا يمكن أن يذوب أحدهما في الآخر أو تنمحي شخصيته لحساب الآخر، أو يحقق أحدهما جميع رغبات الآخر وآماله وطموحاته، دون أن يحقق لنفسه هو بعضاً من آماله وطموحاته الخاصة التي قد تكون على حساب سعادة الآخر. وأن يدرك كل منهما، أن الصبر على أخلاق الآخر وعدم التحسس من بعض السلوكات التي تبدو غير مريحة هي من أسباب استمرار الحياة الزوجية السعيدة.

وعلى الزوجين أن يستحضرا في ذهنيهما هدي الرسول ﷺ : «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» . «وهي الضلع الأعوج وأن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه فقد كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج» . وأن يحاول كل منهما أن يبصر الآخر بعيوبه ، ويدعوه لتعديل سلوكه ، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة . فإن الكلمة الدافئة اللطيفة المخلصة تجد طريقها إلى القلوب دون عناء ، ويتأثر بها السامع ويسعى جاهداً لتحقيق ما يطلب منه دون غضاضة .

أسباب أخرى :

أوردت مؤلفة كتاب "مدخل علم النفس" المجموعة التالية من أسباب الخلافات الزوجية الشائعة [(١)] :

١ ـ فشل الأزواج في إشباع حاجات وتوقعات كل منهم من الآخر .

٢ ـ يجد الأزواج صعوبة في تقبل الاختلاف في عادات وآراء ورغبات وقيم كل منهم الآخر . هذا وتسود صراعات أساسية بخصوص النقود (كيفية الحصول عليها وكيفية إنفاقها) .

٣ ـ الغيرة والتملك (تمنع كل فرد من إعطاء الآخر حرية الاستقلال) .

٤ ـ توزيع السلطة يبدو غير عادل بالنسبة لأحدهما أو كليهما .

٥ ـ أحياناً يفترق الأزواج وراء أهداف واهتمامات مختلفة ومتعارضة .

٦ ـ اختلاف الأمزجة ، ولا سيما ما يتعلق منها بطريقة ترتيب أثاث البيت واختيار الألوان والأشكال والحاجيات المطلوب شراؤها . .إلخ .

---

(١) ليندا . ل . دافيدوف ، مدخل علم النفس . مرجع سابق ص ٥٤٩ . بتصرف يسير .

٧ ـ عدم إنجاب الأطفال ، أو عدم الاتفاق على مواعيد الإنجاب .

نشوز الزوجة :

عند الحديث عن نشوز الزوجة[١] ، لا بد من تعريف الزوج ببعض طبائع النساء بوجه عام ، وبالتبدلات الجسمية والنفسية التي تعتري المرأة في أحوال مختلفة ، ولا سيما تلك التي ترافق الحيض عند الزوجة ، فتغير بعض أخلاقها ، ومزاجها ، وتفكيرها ، مما يدعو إلى وجوب تحمل ذلك ، والتماس الأعذار لبعض السلوكات التي تصدر عن الزوجة في مثل هذه الأحوال . وقد اتجهت الوصية بالنساء ، كما سبق ذكره ، اتجاهاً روعي فيه رفع الحرج عنهن وإعفاؤهن من الحساب المعنت والمؤاخذة الشديدة ، فيتجاوز الرجل ويعفو إذ يذكر أن التكوين النفسي للمرأة لا يناسبه شدة الحساب ، وأن عاطفتها المتقلبة وإحساسها الرقيق وطموحها إلى النعيم والترف ربما يخطىء حكمها على بعض الأشياء . ويخدع نظرها إلى بعض الأمور ، وأنها قد تغضب من التافه الحقير كما قد ترضى بالقليل اليسير ؛ وعليه فليس لها المحاكمة المستقصية والمناقشة العسيرة .

وحين يدرك الرجل الواعي أن هذه طبيعة المرأة فيتقبلها كما هي ويأخذ نفسه بالحكمة معها والصبر عليها ولا يجنح إلى الخيال ولا يتطلب الكمال . فإنه يحس برداً وسلاماً في معاشرتها والعيش معها والأنس بها .

وقد يحدث أن يشذ سلوك الزوجة ، وتنحرف في معاملة زوجها . فيغلظ منها القول ويبدو العصيان ، وترفض الطاعة ، وتعلن المناوأة .

---

(١) النشوز في اللغة : الارتفاع ، فالمرأة التي تخرج عن القيام بحقوق الرجل وقبول رياسته وطاعته فقد ترفعت عليه ، فهي ناشز . وفي الاصطلاح : عصيان المرأة زوجها ، وخروجها من منزل زوجها بغير إذنه ، وتمنعها منه بغير حق .[صالح السدلان : النشوز ص١٦] .

والواجب على الزوج حينئذ أن يبحث عن سر فتورها ، وأن يصارحها بما يأخذه عليها ، ليعود الود ويتبدد سحاب الغضب . أو لعلها تعتذر عما لاحظ عليها وتصلح شأنها معه[١] .

ففي فترة الحيض تعتري المرأة بعض الآثار الجسمية والنفسية التي لا يدركها كثير من الأزواج . ينقلها صاحب كتاب تحفة العروس[٢] بناء على مشاهدات علماء الحياة والتشريح ، وهو ما يتطلب من الزوج العزيز ان يدرك ذلك ، فلا يعاملها في فترة الحيض كما في الطهر ، بل ينبغي عليه احتمال بعض تصرفاتها إذا شذت .

ونذكر فيما يلي بعض هذه الآثار والتبدلات : (.. في فترة الحيض تقل في جسم المرأة الحائض قوة إمساك الحرارة ، فيزداد خروج الحرارة منه ، وتنخفض درجتها فيه ، ويبطيء النبض وينقص الدم ويقل عدد خلاياه ، وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية أيضاً بالتغير ، ويقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم ، ويختل الهضم ، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيمولينية في المأكولات مع أجزاء الجسم ، وتضعف قوة النفس وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة ، ويتبلد الحس وتتكاسل الأعضاء ، وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار . كل هذه التغيرات تدني المرأة الصحيحة من حالة المرض إذ إنه يستحيل معه التمييز بين صحتها ومرضها ، ففي كل مئه من النساء الحيّض لا تحيض إلا ثلاث وعشرون بلا وجع وألم . . .) .

ويكتب الطبيب (إميل نودك) الذي هو محقق كبير في هذا الفرع من العلم : «إن ما يُعهد في الحوائض عامة من الأعراض هي : الصداع

---

(١) مصطفى عبد الواحد . مرجع سابق ، ص (٩٣) .
(٢) تحفة العروس ، ص (٤٠٩) .

والنصب والخلج (وجع العظام) وضعف الأعصاب وتخلف المزاج واضطرابات المثانة ، وسوء الهضم ، والإمساك أحياناً ، والغثيان في بعض الحالات ، وهناك نساء لا يستهان بعددهن يحسسن في صدورهن وجعاً خفيفاً ، ويشتد أحياناً ، فيشعرن له بضربات عنيفة . . .» أهـ باختصار .

مما سبق ندرك الحكمة النبوية في تحريم طلاق الرجل للمرأة أثناء الحيض ، فهو بدعة منكرة ، وقال بعض الفقهاء بعدم وقوعه ، وقال بعضهم بحرمته ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بوجوب رد المرأة المطلقة أثناء الحيض واعتبرها طلقة .

لهذا كله وبناء عليه ينصح الزوج أن لا يعتبر زوجته الحائض ناشزة وشاذة إذا لم تلائم طباعه ومزاجه مئة بالمئة أثناء الحيض ، وليحمد الله سبحانه على هذه الحال .

ومن هنا يجب أن يكون الزوج بصيراً بعادات النساء . . صبوراً على مساوئهن ، غير مسترسل في اتباع أهوائهن ، حريصاً على مسامحتهن بعد ذلك وإصلاحهن ، والوفاء بحقهن والتغاضي عن زلاتهن . . . وإذا فعلت ذنباً وسامحها ، فلا يعود ليذكرها بفضله عليها ويجب عدم التفكير في الطلاق أبداً كعلاج . . وهو لم يعالج أي شيء ولم يبذل أي جهد . . ولم يتذرع بأي حكمة ، ولم يتعود أي صبر . . فيكون هداماً دون علم ، وهو يظن أنه ينجو بنفسه . . ويلتمس لضعفه أعذاراً . . بينما لو صبر . . وعالج . . وعلم . . لفاز بالخير بدل أن يكون آبقاً ملعوناً ؛ لأن الذي يعذب زوجته ثم يطلقها إنما يضيف إلى مجموع الأمة ـ عوامل جديدة من الفساد ـ أقلها ضياع الأولاد . . ولا ينجو من عقاب ذلك في الدنيا والآخرة [١] .

---

(١) تحفة العروس ، ص (٤٠٩ ، ٤١٠) نقلاً عن الحياة الزوجية للبويهي .

الزوجة العنيدة المشاكسة :

إن سبب خراب البيوت وتهدم الأسر يرجع في أغلبه إلى أنانية الزوجات وعنادهن ، فالمرأة الأنانية العنيدة التي تعاند زوجها وتعارض كلامه ، ولا تحترمه ولا تقدر مشاعره ، وتسمع كلام النساء ونصحهن فيما يتعلق بعلاقتها مع زوجها ، وتفضل كلامهن على كلام زوجها ، فهي بذلك تجني على نفسها وتخرب بيتها بيدها ، وتقضي على سعادتها وعلى مستقبلها .

وإذا استمرت العلاقة بين الزوجين على هذا النحو من العناد والأنانية وعدم الاحترام ، فإن ذلك يعني خراب البيوت وتشتت الأسرة وانفلاتها ، فيضطر الزوج عندئذ إلى البحث عن زوجة أخرى طيعة لينة تحب زوجها وتغار عليه وتطيعه فيما يأمر وينهى وتقدس العلاقة الزوجية . فهي بزوجها امرأة ، وبرضاه سعيدة ، وبطاعته مسلمة ، لقول الرسول ﷺ : «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» ، فعلى الزوجات اللواتي ينشدن السعادة الزوجية وتماسك أسرهن ، أن يحترمن أزواجهن ، ويملأن عليهم بيوتهم سعادة وهناء بحسن العشرة وطيب الكلام وإيثار رغباتهم على رغباتهن ، وبذلك يستديم الحب وتتماسك الأسر وتحلو الحياة ، وفيما سوى ذلك فإن انفصال الزوجين يقف على كلمة تطلق من فم الزوج ، والشيطان يغري بالعداوة والبغضاء وخراب البيوت .

وفي واقع الأمر ، ليست جميع النساء من طبيعة واحدة ، فمنهن العنيدات اللواتي لا يستجبن لكلمة دافئة يطلقها الزوج ، أو ابتسامة صافية ترتسم على فمه ، أو رغبة صادقة منه للإصلاح . وبعضهن يطلبن المزيد من خضوع الزوج وتذلله لكي تطيعه أو تقبل مصالحته عند الخصام أو

تضع شروطاً قاسية لذلك[١] . وقد يفتعلن من المواقف ما يثير غضب الزوج ، أو يكثرن من التذمر والانفعال والغضب لكي يتذلل لها ، أو يجهد نفسه في محاولات شاقة لإرضائها .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت :٣٤].

ليس هذا النموذج من النساء هو المرغوب ، وليس هذا السلوك هو السلوك الودي الذي يرومه الزوج من زوجته . ولن تستمر الحياة الزوجية أو الرباط المقدس بينهما ما دامت على هذه الأخلاق القبيحة . ومع ذلك

---

(١) راجع قصة الزوجة العاقلة المتسامحة التي قبلت مصالحة زوجها لها . . ولم تجعل قبولها للصلح معلقاً على شروط معينة مثل : «بقدر ما يسامحني أسامحه» أو «لن أسامحك حتى أحصل على ضمان أنك لن تكرر ذلك مرة أخرى» أو «لن أسامحك حتى أتأكد فعلاً أنك تغيرت» . . فالزوجة إذا فعلت ذلك.فهي تتعالى على زوجها . . وعلى مشاعره ، وتنسى أنها في الماضي القريب أخطأت بحقه . . وقبل مصالحتها دون أن يضع شروطاً للصلح .

كتب الأستاذ العويد يقدم النصيحة للزوجة فقال : اقبلي ـ عزيزتي ـ مصالحة زوجك ، وشجعيه عليها ، وابدئي أنت هذه المصالحة إذا كنت أنت المخطئة أو المسيئة إلى زوجك . ولا تصرّي على أن يعتذر هو أولاً على خطئه أو خطأ لم يرتكبه كما تفعل المرأة الحمقاء التي تأبى أن تعتذر أو تقبل عذراً ، ولا تنسي أنه زوجك الأقرب إلى قلبك ، فإذا سامحتيه أو اعتذرت إليه ، فإنما تسامحين حبيبك أقرب الناس إليك ، وتعتذرين إلى قلبك الذي بين يديك .

وإياك أن تكوني عنيدة فلا تقبلي مصالحته أو الاستجابة لتودده إليك ، أو تركبين رأسك وتتعالين عليه ، إنك في هذه الحالة تجرحين كرامته وتحطمين كبرياءه . ولا تستبعدي أن يلجأ إلى العنف والضرب وتمزيق جسدك الناعم الرقيق ؛ لأن ساعة الغضب تحول الرجل الغاضب إلى وحش كاسر . وقد لا يحاول إرضاءك مرة أخرى . وقد تزرعين في قلبه كرهاً لك ونفوراً منك لا تمحوه الأيام . (عن كتاب : قالت لي جدتي ، للأستاذ محمد رشيد العويد ص ٨١ ـ ٨٤ بتصرف) .

فما زال الباب مفتوحاً للإصلاح والتربية وتقويم السلوك. وقد جاء التوجيه القرآني يوصي بالتدرج في التربية والاصلاح ، إلا أن يصل الأمر إلى طريق مسدود لا قدر الله ، عندها لابد من إغلاق الباب واستعمال آخر الدواء.

قال تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ [النساء :٣٤] . وفي الحديث : « .. ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان[١] عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً» .

تشير الآية إلى ترتيب تأديب المرأة إذا هي عصت زوجها ، فيعمد الزوج أولاً إلى وعظها ونصحها وتذكيرها بأوامر الله تعالى وما بشر به المطيعات من الثواب وما أعده للناشزات من العقوبة في نار جهنم ، ويبصرها عاقبة ما تفعله بمنطق العقل ، أو يضرب أمثلة من واقع الحياة وتجارب الناس التي تلمسها هي وتعرفها ولكن نسيتها . وهذا ما ذكره القرآن بقوله : ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾ . فإذا لم يثمر الوعظ ، ولم يصل إلى قلبها عن هذا الطريق ، فلم تقلع عن النشوز ، ولم تعد بالحياة سيرتها الأولى عمد الزوج إلى هجرها في المضجع بترك الجماع بشرط أن لا يترك الفراش الواحد المشترك ، فينام على طرف آخر منه ، إظهاراً لزوجته الناشزة أنه غاضب ، وليثبت لها إذا كان ذا إرادة ! أنه لا يعبأ بسلاح جمالها الذي تعول عليه إذا كانت غير مطيعة ، فتتراجع عن سلوكها وتتنازل عن كبريائها .

وهذه هي الخطوة الثانية في الآية التي قررت علاج النشوز ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ

---

(١) عوان : أسيرات .

فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ وهي وسيلة فعالة ، تصلح لمستقيمات الخلق صحيحات الفطرة ، وتحمل المرأة على إعادة النظر في موقفها من زوجها ، فترى ما لها وما عليها ، وتسلك السبيل القويم .

فإذا تمادت الزوجة في العصيان ، ولم تتأثر من الجفاء والهجران ، فذلك دليل على مرض مشاعرها ، واعوجاج سلوكها والتواء طريقها . وإذا لم ينفع ذلك لجأ الزوج مضطراً وحرصاً على سلامة الأسرة إلى شيء من الضرب . فالزوج الآن أمام انحراف لا مبرر له . ولا بد من أسلوب أشد قسوة من الأساليب السابقة يتناسب مع صلابة الموقف ودرجة النشوز .

والحديث يوضح طريقة هذا الضرب . بأنه ضرب غير مبرح أي لا يترك أثراً ولا يحدث عاهة . قال عليه السلام : «ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت» ، ومعنى هذا أن الضرب إنما هو تعبير شديد اللهجة ، وليس المراد عنه الانتقام وإرواء الغليل ، وهي مرحلة لا يأتيها الرجل إلا بعد تكرار الغلط الذي لا يمكن الصبر عليه ، بل وأحياناً لا يمكن ذكره لأسباب تتعلق بكرامة الرجل وسمعة بيته . وهذا السر في قوله ﷺ : «لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته» [1] .

وكثيراً ما حدث أن ضرب رجل زوجته ، وتدخل بعض الغرباء للصلح ، فخجل من ذكر الحقيقة كل من الزوجين ، واخترع كل منهم قصة لم تكن محبوكة الفصول ، فتبعتها أقاصيص مفتراة من الجانبين أدت إلى اتساع الخرق على الراتق . ولهذا كان الضرب حقاً للزوج لا يسأل عنه ، إنما يسأل عن جذور المشكلة وأسباب الخلاف ، لا عما نشأ عنها وتفرع منها .

ووفق المنهج الإسلامي في التربية والإصلاح ، فإنه لا يجوز للزوج

---

(١) أخرجه ابو داود عن عمر .

تطبيق هذه العقوبات معاً ، بل لا بد من التدرج بها . وليس الضرب أول الأساليب ولا أول خاطر يخطر على البال . وإذا كان الإسلام قد أباح للرجل ضرب زوجته ، فذلك في بعض الأحوال النادرة على أن يكون ضرباً غير مبرح ، أي ضرباً خفيفاً كأنه رمزي ، حينما لا ينفع معها دواء غيره من وعظ ونصح وهجر . وفي الحديث : «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» فيه ذم للقاسية قلوبهم الذين يضربون زوجاتهم بقسوة ويسارعون إلى استخدام الضرب لأول وهلة ولأتفه سبب ، ثم هم يتخاضعون للزوجة ويستعطفونها عند الحاجة إليها .

وقد يعترض بعضهم على نظام الضرب ، ولكن إذا جرب عرف ضرورته في حالات نادرة في التربية كالشذوذ وعدم الطاعة . وقد قصره الإسلام على حالات الضرورة ، وصحبه بما يسلب عنه صفة الانتقام والعدوان . بيد أنه لا سبيل إلى الإصلاح في حالات كثيرة إلا بالمرور بهذا الأسلوب . وقد أعاد علماء التربية النظر في أسلوب الضرب طالبين الرجوع إلى سياسة العقوبة البدنية في حالات شذوذ الطلبة ، وتظهر عظمة الإسلام واضحة في هذه المعالجة والتأديب ، فقد راعى نفسيات النساء حسب أرقى نظريات التربية الحديثة ، فجعل العقوبة تختلف باختلاف هذه النفسيات ، كما تظهر عظمته وسحره في عقوبة الهجر ، وتكون بالنوم معاً في فراش واحد وجعلها خلفه وعدم قربها ليثبت لها قوة شخصيته ، وضعف ما لديها من إغراء ، مما يضطرها في النهاية إلى الخضوع والاتصاف بالأدب وعدم النشوز اعتماداً على ما لديها من سحر[1] .

---

(١) انظر : ـ محمود مهدي الاستانبولي ، تحفة العروس ص (٤٠٩ ـ ٤١٢) .

نشوز الزوج[١] :

تحدثنا فيما سبق عن نشوز الزوجة وأوضحنا الحلول العملية له وفق المنهج الإسلامي ، من وعظ ، ثم هجر ، ثم عقوبة بدنية رمزية خفيفة له ، كضربها بالمخدة فوق السرير مثلاً ، بما يشبه المداعبة التي قد تنتهي إلى الصلح . والآن نتحدث عن نشوز الزوج نفسه ، فماذا ينبغي للزوجة عمله وما هي الحلول الإسلامية له ؟

إذا كان النشوز من جانب الرجل ، فلتستجمع المرأة كل حيلتها وذكائها ، ولتدرس أسباب نفوره في تلطف وكياسة ، ولتعالج كل سبب بما يصلحه . ولا بأس أن تتقبل ما يكلفها ذلك من ألم نفساني أو جهد مالي أو نحوه بسماحة نفس وطيبة خاطر ، فهي تسعى لأسمى واجب تعتز به المرأة بعد عبادة الله عز وجل .

وإن مما يرضي الرجل الاعتذار إليه على الفور عندما يكون الخطأ من المرأة ، فإن سقطت منه هفوة كان لا بد من الانتظار حتى تهدأ ثائرته ، ثم يكون الحديث متلطفاً فيه إلى قلبه منفرداً[٢] . والاعتراف بالحق فضيلة . وكما قال الشاعر :

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه   وكل امرىءٍ لا يقبل العذر مذنب

قال أبو الأسود الدؤلي لامرأته : «إذا رأيتني غضبتُ فرضني ، وإن رأيتُكِ غضبتِ ترضيتك ، و إلا لم نصطحب» .

---

(١) نشوز الرجل : يعني أن يسيء الزوج عشرة زوجته بمضارتها وضربها وتعذيبه عليها وإيذائها وترفعه عليها بهجرها .. إلخ [السدلان : ١٩] .

(٢) راجع : قصة المرأة الرزينة الواعية التي عالجت بهدوء وكياسة سلوك زوجها الذي عاد إلى البيت غاضباً من رئيسه في المؤسسة التي يعمل فيها . ص (٨٢) .

وكان عند الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه امرأة من قريش ضجرت منه يوماً فقال لها : أمرك في يدك ـ أي لها الخيار في البقاء في عصمته أو في تطليق نفسها ـ فقالت له : أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظتَه وأحسنتَ صحبته ، فلن أضيعَهُ إذا كان في يدي ساعة من نهار ، فأعجبَه قولها ، وأحسن صحبتها .

قالت سيدة لابنتها : لا تغضبي إزاء فلتة زلَّ بها لسان زوجك عند غضبه بل كوني رزينة متسامحة . ولا تقابليه بالمثل . فبذلك يدرك هفوته ، ويأسف على زلته . وليكن حسن الظن وحسن التفاهم رائدكما فيزول كل ما يقع بينكما .

وقد أوصى أسماء بن خارجة الفزاري ابنته هنداً فقال : اعلمي أني القائل لأمك :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وروي أن سيدة شريفة دخلت على أبيها . فلما نظر إليها دمعت عيناها وتغير لونها • فقال لها : ما لك يا بنية ؟ قالت : يا أبت . . كان بيني وبين زوجي البارحة شيء . فغضب لكلمة بدرت مني ، فلما رأيت غضبه ندمت على ما فعلت وقلت له : يا سيدي . . عفواً وصفحاً . فإن الذي سمعته مني خطأ ولا أعود إلى شيء من ذلك ، فأبى أن يكلمني . وحوّل وجهه عني فطفت حوله حتى ضحك ورضي عني ، وأنا خائفة من ربي أن يؤاخذني على اللحظات التي أحرقت فيها من دمه ، ساعة غضبه ، بضع قطرات .

فقال لها والدها : يا بنية ... والذي نفسي بيده لو أنك مت قبل أن يرضى عنك زوجك لما كنت راضياً عنك ، أما علمت أن أيما امرأة غضب عليها زوجها فهي ملعونة في التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ، وشدد الله عليها سكرات الموت وضيق عليها قبرها . فطوبى لامرأة رضي عنها زوجها . وفي الحديث الشريف : «ثلاث من كن فيه آواه الله في كنفه ، ونشر عليه رحمته ، وأدخله جنته : من إذا أُعطي شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر» .

وقال عليه السلام : «خير نسائكم من أهل الجنة الولود الودود العؤود على زوجها ، التي إذا ما غضب عليها زوجها وضعت يدها في يده وقالت : لا أذوق غمضاً حتى ترضى»[١] .

ومن الصور التطبيقية في هذا الجانب ما فعلته ابنة أخ كريم حين رأت زوجها غاضباً ؛ لأن والدها لم يأت بستائر للمنزل في جهازها . فقالت : لا تغضب ، فهذه أساوري الذهبية . بعها واشتر بجزء من ثمنها الستائر التي تعجبك ، فإن بقاء الأسرة خير من بقاء الأساور . هذا الموقف إنما يحسن مع ذي مروءة يهزه الموقف فيعوضها عما بذلته ، أو يعتذر بأن حليها أنفع للمستقبل .

وأخرى رأت أن زوجها قد ضايقه أهلها بما اضطر إليه من «القائمة» التي كتبت بمنقولاتها من الأثاث والملابس . . وشعر أخوها بذلك ، فقال : إذا كانت هذه القائمة هي التي تسبب لك الضيق وتدعو لخراب البيت . . فها هي القائمة . . وأحرقها أمامه بعود الثقاب[٢] .

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى .

(٢) انظر : عبد المتعال الجبري : المرأة في التصور الإسلامي . ص (١٢٩ ـ ١٣١) .

تدخل الوالدين للإصلاح :

إن الخلافات الزوجية أمر طبيعي ، ولابد من حدوثها . والأصل أن يترك للزوجين أمور خلافاتهما يسويانها بينهما ، ولكن قد تستدعي بعض الحالات تدخل الوالدين لحل هذه الخلافات بالحكمة والموعظة الحسنة ، إذا أخفق الزوجان بذلك . ويكون ذلك بناء على طلبهما أو طلب أحدهما .

ومما يروى من الحديث النبوي عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت فاطمة فلم يجد علياً فقال : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بيني وبينه شيء ، فغاضبني وخرج . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل : انظر أين هو ! فقال : هو في المسجد راقد . فجاءه وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «قم يا أبا تراب» .

لم يسأل رسول الله ﷺ عن سبب الخلاف ، بل ذهب إلى زوج ابنته يداعبه ليستل من نفسه كل أسى وغضب . وهكذا كان عليٌّ حكيماً . إذ خرج بعيداً عن الموطن الذي يحجل الشيطان فيه بالوقيعة ، حتى تنطفئ نيران الشيطان . كما هي التوجيهات الإسلامية في مثل هذا المقام ، ويذهب إلى المسجد لا إلى أصدقائه وخلانه ، ففي المسجد بركة ، وهو أبعد أراضي الله عن نفثات الشياطين .

إن مسارعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمصالحة الزوج درس لأولياء البنات ، فإن كثيرًا منهم اليوم إذا مرت ابنتهم بمثل حادثة فاطمة رضي الله عنها اغتاظوا وأخذوا ابنتهم إلى بيتهم حتى يتصاغر الزوج ويتذلل في طلب زوجته ! وقد يكون الأمر بالعكس ، فيطلق زوجته ! ويهدم أسرته ويشرد أولاده !

كل ذلك إذا لم يحل الزوجان خلافهما بنفسيهما ، ولعل علياً رضي الله تعالى عنه لو لم يخرج من بيته لسارعت فاطمة رضي الله تعالى عنها إلى إرضائه وإزالة غضبه . إن الخروج من البيت ينبغي أن يكون آخر الحلول لا أولها . وكل ذلك يتطلب الحكمة من أقل الطرفين تأثراً ، وقد جاء في المثل العربي : «إذا عزَّ أخوكَ فَهُن» أي إذا غضب صديقك فالزم الحلم والصبر .

وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بإعادته صهره إلى بيته خشية اتساع شقة الخلاف بينه وبين زوجته بسبب هذه المغادرة ، هو ما تنصح به اليوم بعد مرور أربعة عشر قرناً العالمة الكبيرة (إيفلين مليس) بالاشتراك مع (دوفا) وغيره في كتاب «كيف تبني حياتك الزوجية» إذ قالوا تحت عنوان : «لاتسرعي بمغادرة المنزل والذهاب إلى والدتك» :

إن أول ما يجب تذكره في معالجة مثل هذه الصراعات هو مواجهتها وعدم الهروب منها . إن خروج الزوجة إلى منزل والدتها ، أو لجوء الزوج إلى النادي أو المقهى لا يحل شيئاً من النزاع بينهما . إنهما بهذا على الأكثر يؤجلان المحتوم ، إذ سيضطران إن آجلاً أو عاجلاً ، إلى أن يواجه كل منهما الآخر ، ويعملا على حل ما بينهما .

ويسبب خروج الزوجة إلى منزل أمها صعوبة أخرى ، وهي تشجيع دور الفتاة الصغيرة فيها بدلاً من دور المرأة المتزوجة الناضجة . وإذا كانت الأم نفسها تشعر بوحشة نحو ابنتها عندما تتركها وتذهب إلى بيت زوجها ، وتحس بسعادة كبيرة في عودتها إليها ، فإن ذلك قد يشكل خطراً حقيقياً يهدد الحياة الزوجية لابنتها . وإن رجوع الزوج المجروح الذي خاب أمله إلى أمه لا يقل خطراً على الحياة الزوجية . إن أفضل ما يجب أن يفعله الزوجان المتنازعان هو أن يحسما فوراً المنازعات التي تنشب بينهما كيفما كانت . ولن يؤدي إدخال الوالدين أو صديق حميم في النزاع القائم بينك

وبين زوجك ، لكي يأخذ جانبك ، أو يثبت أنك على حق في موقفك ، لن يؤدي ذلك إلا إلى إطالة النزاع وتعقيده .

ولا ينبغي على الزوجة العاقلة أن تيأس من إصلاح زوجها ، وتلجأ إلى طلب الطلاق ، بل لابد من استعمال العقل والحكمة والتدرج في تربيته وإصلاحه وبالكلمة الطيبة والكرم ، فإن الإنسان أسير الإحسان ، وقد جاء في أمثال العامة «ابنك على ما ربيته ، وزوجك على ما عودتيه !!» .

وهناك أمثلة كثيرة من واقع الحياة تم فيها النجاح والإصلاح وتتكرر مع تكرار الأيام إذا حسنت النية وطابت المعاملة وتم التوكل على الله تعالى واللجوء إليه ، فإنه سبحانه مقلب القلوب والأخلاق !

يذكر أحدهم أنه كان له صديق ساذج تخرج في المدرسة التي لم تعلمه شيئاً من آداب السلوك والمعاشرة وخاصة مع أهله ، ثم ما لبث أن تزوج ، فلم يحسن معاملة زوجته ، أو لم يعرف آداب هذه المعاملة ، فكان يقسو عليها ويسيء إليها ، فشكت ما بها إلى أمها «حماته» . فكان من نصيحتها لها : «يا بنيتي إنه شاب غِرّ ، ولكن تظهر عليه علامات الصلاح ، فعليك بالصبر عليه والتدرج بتدريبه ونصحه ، فلابد أن يتم صلاحه» . فكان ما قالته أمها وتم صلاحه وأصبح من خيار الأزواج[١] .

ليسوا سواء :

ليس الرجال كلهم على درجة واحدة من الأخلاق والطباع ، وليسوا جميعاً بأخلاق الصحابة والتابعين . فمنهم في واقع الحياة من يتخلق بأخلاق الأنبياء ويسلك سلوك الصالحين والأولياء ، وكأنه قرآن يتحرك بين الناس ، ومنهم دون ذلك ، وعلى درجات متفاوتة من الأخلاق

(١) انظر : تحفة العروس ، مرجع سابق ص (٣٩٨ ـ ٤٠٠) .

والسلوك ، ومنهم فئة ثالثة هي أقرب ما تكون إلى أخلاق الشياطين وطبائع الوحوش ، وحياة زوجاتهم معهم كأنها الجحيم ـ نعوذ بالله من هذا الصنف ، وندعوا له بالصلاح والهداية ـ ومن هنا فمن واجب البنات وذويهن البحث الدقيق والتحري الشامل عن أخلاق الخاطبين وظروفهم النفسية والاجتماعية ، وامتحان سلوكهم ، وسؤال ذويهم والمقربين منهم قبل الموافقة على الارتباط بهم كأزواج . ولا سيما في أيامنا هذه التي أصبحت فيها سبل الاتصال وأساليب البحث متيسرة وفي متناول الجميع .

وفي واقع الحياة ثمة نساء يعشن في أكناف أزوجهن في غاية من السعادة والهناء ، كأن إحداهن في مملكة بعضها السماء وبعضها القلب . . يبادلن أزواجهن حبًّا بحب . . ووفاء بوفاء . يفكر كل من الإلفين كيف يدخل السرور على قلب أليفه ، ويسعى دائماً لإسعاده وإرضائه .

ومنهن ممن ابتلين بالصنف الثالث مما ذكر من أصناف الرجال ، وصارت حياتها في ظله عذاباً وشقاء ، وتتحمل منه صنوف الإذلال والإهانة سنوات طويلة ، وتصبر على ذلك محتسبة مؤمنة بقضاء الله وقدره ، حفاظاً على بيتها وعلى أولادها الصغار . وزوجها الغليظ يمعن في إيذائها ويتمادى في إهانتها* وتعذيبها ، وربما يضربها على مرأى من

---

* رأيت بعض الأزواج ممن يأنف أن ينادي زوجته باسمها أو بكنيتها «يافلانة» ، «يا أم فلان» ، بل يناديها بألفاظ لا تنم عن احترام لها أو تقدير ، مثل : «ياهيه» ، «يا مرة» ، «يا بقرة» ، «يا زفت» . وفي حالات كثيرة يكلف أولاده الصغار بإبلاغها ما يريد . ومن النادر ما يبتسم أو يمزح داخل البيت ، فهو عابس طوال الوقت ، بينما هو يبتسم ويمزح مع زملائه في مكان العمل ، ويضن بذلك على زوجته وأولاده !! ومنهم من يصرخ في وجوه أولاده وبناته إذا غضب على زوجته مع عدم رغبته أو عدم جرأته على مواجهتها.

ولا أدري . . ألم يقرأ هؤلاء سيرة الرسول ﷺ ، وكيف أنه كان كثير التبسم ولا سيما مع زوجاته ، وكيف كان يدلل عائشة بترخيم اسمها فيقول : «يا عائش» ، و «يا حميراء» كناية عن حمرة وجهها . بل ألم يسمع هؤلاء بعض جيرانهم وزملائهم الذين يتحببون إلى=

أولادها الصغار ، حيث يعلو صراخهم كلما هجم عليها ضرباً وركلاً وشتماً ، مدفوعاً بقلب أسود لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ، وقد يتم كل هذا إيحاءً من زوجته الثانية أو إملاءً منها ، أو استجابةً لأوامر والدته المتسلطة ، أو أخته الكبيرة الآمرة الناهية . كل هذا العنف وتلك الوحشية يمارسها هذا العلج مع أقرب الناس إليه . . مع رفيقة دربه وشريكة حياته ، التي لا ذنب لها سوى أنها اختارته زوجاً لها دون سواه . ومع ذلك فهي تكتم أمرها عن أهلها وذوي رحمها كي لا يثيروا أمر العلاقة بينها وبين زوجها أمام القضاء وعلى أبواب المحاكم ؛ لحساسيتها الشديدة من ذلك ، وحرصها على بقاء الرابطة الزوجية متماسكة رغم ما تلاقيه من زوجها من أذى وعذاب ، ولأنها ترى في افتضاح الأمر بين الناس وانكشاف طبيعة العلاقة بينها وبين زوجها عاراً يلحق بها ، وسوء سمعة تنغص حياتها .

لذلك فإن مثل هؤلاء القساة القلوب الغلاظ الأكباد الذين لا يردعهم دين ولا خلق ولا ضمير عن إهانة المخلوق الضعيف الذي هو أمانة بين أيديهم ، وإذا لم تنفعهم موعظة ولا نصيحة ولا رجاء ولا دموع ولا صراخ أطفال ، فلا بد أن تعرض الزوجة ـ وهذا حالها ـ أمرها على أقرب الناس إليه ممن تثق بهم وبدينهم لعلهم ينصحون الزوج ويبصرونه بخطورة هذه المعاملة القاسية ويذكرونه بالله ويخوفونه من عقابه في الدنيا والآخرة .

بيد أن ذلك لا يعفي الحكومات من أن تتحمل مسؤولياتها في هذا الأمر ، بل لابد أن تقوم بواجبها الإنساني والاجتماعي تجاه الأسر

=نسائهم عندما ينادي أحدهم زوجته بأصناف الفاكهة ؟! وينسبها إليه فيقول : «يا تفاحتي» ، «يا مشمشتي» ، «يا حلوة» إلخ . أليس من باب تكريم المرأة أن نناديها باسمها أو بكنيتها أو بلقبها إن كان لها لقب جميل على أقل تقدير؟!

المتداعية ، وترفع الظلم الذي يمكن أن يلحق بالنساء ممن لا يحسنون العشرة ولا يحترمون المرأة ولا يكرمونها كما أمر الإسلام ، أو كما تفرضه طبيعة العلاقة الوثيقة والرباط المقدس بين الأزواج : «ما أكرمهن الا كريم وما أهانهن الا لئيم» . وأن تعمل على سن القوانين الجزائية الرادعة لمثل هذه التجاوزات ، على أن تتضمن نصوصها عقوبات مغلظة تردع هؤلاء العلوج عن سلوك الظلم والقسوة بما يكفل للمرأة كرامتها ويحفظ لها إنسانيتها وأنوثتها ويرحم ضعفها ، ولكن بالقدر الذي لا تتجاوز معه المرأة حدودها إن استقوت بالقانون ، فتتعالى على زوجها وتجره إلى المحاكم عند أول صدام ، وتكلفه من سمعته ما لا يستحق ومن ماله ما لا يطيق ، مما يخدش الرابطة الزوجية المقدسة ، وينزع عنها الحب والدفء والطمأنينة ، ويفقد مبدأ القوامة معناه ويفرغه من مضمونه .

عند الشقاق :

تكون الحلول السابقة مناسبة لعلاج المشكلات الزوجية إذا كان أحد الزوجين هو المذنب والجافي لصاحبه ، في حين يمد الآخر يده للصلح والوئام . أما إذا تبادل الزوجان الكيد واستحكم بينهما الخلاف ، ولم ينزل أحدهما للآخر عن كبريائه وعزته ، ولم يخط أحدهما خطوة للقرب والوئام ، فتلك حالة خطيرة تهدد حياة الزوجية ، وتتطلب أن يتدخل بينهما أهل الخير والإصلاح من ذوي الطرفين ، فهم مطالبون بالتدخل الخيّر الهادف إلى التقريب والإصلاح البعيد عن الكبرياء والعصبية ، الناظر إلى مصلحة الزوجين نفسيهما .

فلا بد إذن من التحكيم ، ويكون ذلك بأن يجتمع حكمان ، حكم من أهله وحكم من أهلها ، ليبحثا أسباب الشقاق ويعالجا أسباب الداء ، ويحاولا لفت الأنظار إلى الاعتدال وتوجيه القلوب إلى الاستقامة . والحكمة واضحة في قصر «الحكمين» على ذوي القرابة ، إذ إن الشقاق قد تكون

أسبابه مما يستحى من ذكرها للغرباء ، فتجهل العلة . ويستعصي العلاج . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ [النساء : ٣٥]. وهكذا يتوقف الإصلاح على صدق النية وإخلاص السريرة وحسن الوسيلة . وما يراه الحكمان من توجيه يزيل أسباب المتاعب والشقاق هو من النصائح الواجبة الاتباع ، لأنها صادرة من مجربين للحياة لهما ورع وتقى .

فإن لم يفلح الحكمان في استرجاع الود ومحو الشقاق ، ورأيا من العوائق ما يحول دون استمرار الحياة الزوجية على وجه صالح ، فإن لهما أن يطلبا من الزوج تطليق زوجته إذا كانت متضررة من بقائها معه على هذا الوجه . فإن أبى رفع الأمر إلى القاضي ليطلقها منه للضرر . وإذا كان الزوج هو المتضرر من كيد زوجته وهو آسف على ما بذل لها من صداق ، نادم على ما قام به من سعي ، فإن للحكمين أن يطلبا من الزوجة أن ترد عليه صداقه مقابل أن يطلقها (١) .

---

(١) ذكر الرازي في تفسيره خلافاً حول سلطة الحكمين ، هل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون إذنهما ؟ مثل أن يطلق حكم الرجل أو يفتدى حكم المرأة بشيء من مالها؟

قال : للشافعي فيه قولان : أحدهما يجوز ، وبه قال مالك وإسحاق . والثاني وهو قول أبي حنيفة ، وعلى هذا هو وكالة كسائر الوكالات .

وذكر الشافعي رضي اللّه عنه حديث علي رضي اللّه عنه ، وهو ما رواه ابن سيرين عن عبيدة ، أنه قال : جاء رجل وامرأة إلى علي رضي اللّه عنه ، ومع كل واحد منهما جمع من الناس ، فأمرهم علي أن يبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها . ثم قال للحكمين : تعرفان ما عليكما ؟ عليكما إن رأيتما أن تجمعا فاجمعا ، وإن رأيتما أن تفرقا ففرقا . فقالت المرأة :

رضيت بكتاب اللّه تعالى فيما لي وعلي فيه . فقال الرجل : أما الفرقة فلا . فقال علي : كذبت واللّه ، حتى تقر بمثل ما أقرت به .

ومن الناس من احتج للقول الأول بأنه تعالى سماهما حكمين ، والحكم هو الحاكم ، =

الطلاق :

شرع الإسلام علاقة الزواج لتبقى لا لتفنى ، ولتدوم لا لتنقطع ، وأرسى لها من الدعائم ما يكفل الثبات والاستقرار . ولكنه أيضاً نظر إلى الواقع واعتبر طبيعة البشر ، فليس كل الناس مثاليين مرفرفين ، ولا أطهاراً مبرئين ، وما دام في النفس نوازع الشر وبواعث الهوى ، فسيقع الخلاف وتنشأ العداوة وتحدث الشرور والآثام .

لذلك أباح الإسلام الطلاق ، وهو التفريق بين الزوجين عند تعذر اجتماعهما في حياة مشتركة لما نشأ بينهما من الأذى والكيد ، ليكون لكل منهما سبيله ، وليرتفع الضرر وينتفي الحرج ، ولعل كل منهما يوفق إلى من يعجبه ويرضيه . ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً ﴾ [النساء :١٣٠] .

وعلى هذا يكون الطلاق رخصة تتيح للزوجين التخلص من الآلام والكف عن تبادل الكيد ، فلا مكان للطلاق في أسرة آمنة ، ولا معنى لاستعماله بلا ضرورة ولا باعث .. إن الذي جعل من النفس زوجها ليسكن إليها ، لم يبح لها أن يفارقها بلا جريرة ولا اقتضاء ، فذلك عبث لا يقره دين ، وتخريب لا تعمر به حياة . ولذلك كان أبغض الحلال إلى اللّه الطلاق ، كما ورد في الحديث .

=وإذا جعله حاكماً فقد مكنه من الحكم . ومنهم من احتج للقول الثاني بأنه تعالى لما ذكر الحكمين لم يضف إليهما إلا الإصلاح . وهذا يقتضي أن يكون ما وراء الإصلاح غير مفوض اليهما . والحقيقة أن الحكمين متى كانا عدلين متجردين عن الهوى فإن رأيهما في إبقاء العلاقة الزوجية أو فصمها واجب التنفيذ ، فقد استكشفا الحقيقة واختبرا الأمر ، فحكمهما غالباً هو الصواب . (انظر : مصطفى عبد الواحد . مرجع سابق ص ٩٧ _ ١٠٣) .

ومع ذلك فما زال الباب مفتوحاً للمراجعة ورأب الصدع . فقد حرص الإسلام على استبقاء الفرصة للإصلاح وإعطاء المهلة لتدارك الخطأ وتقويم العوج . فلم يجعل الانفصال أبدياً في كلمة تقال أو لفظ ينطق . وجعل للزوج الحق في استرجاع زوجته في مدة محدودة عقب الطلاق ، وهي مدة العدة . فقد يحس الزوج بخطئه ، إذا كان هو المخطيء ، وقد تثور في نفسه دوافع الرحمة والتسامح إذا كانت هي المخطئة . فإذا عادت إليه ، ثم نشأ بينهما الخلاف ووقعت الكراهة ، جاز له الطلاق مرة أخرى . ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة :٢٢٩].

وتجربة المرتين يجب أن تبصر الزوج بحقيقة الأمر وتتيح له اتخاذ قرار نهائي ، إما بإمساك زوجه وإما بفراقها . فإذا فارقها المرة الثالثة حجب الإسلام بينهما إلا بشرط فيه تأديب وزجر ، وفيه إرهاب من العبث بالطلاق واستعماله بلا حاجة ولا ضرورة . ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة :٢٣٠]. وهو شرط قد يعسر تحقيقه ، مع ما فيه من لذع وتأنيب . فإن كان للرجل حاجة في زوجته ، فليتدبر وليتروَّ ، قبل أن يبت الحبل ، ويسرف في الفراق والهجر . أما أن يصير الأمر عبثاً وفوضى بلا تحرج ولا خشية ، فذلك يهدد كيان الأسرة ويضخم من مشاكل المجتمع[١] .

---

(١) انظر : مصطفى عبد الواحد . مرجع سابق ، ص(١٠٤).

الفصل الخامس

نماذج وأساليب الإصلاح بين الزوجين المتخاصمين

في النماذج التالية ثمة أساليب فنية مناسبة للإصلاح بين الأزواج ، بعضها تم تطبيقه فعلاً وحقق النتائج المطلوبة ـ كما ستجد ذلك في القصص التالية ـ وبعضها الآخر يمثل اجتهادات واقتراحات ، يمكن للزوجين ذاتهما اتباع المناسب منها وفق الظروف والحالات المختلفة من الخصام ، ولا سيما إذا كانا ممن يملكون قلوباً طيبة ، ويحرصون على تماسك الأسرة وإدامة المودة بينهما ، وإشاعة الطمأنينة والسعادة في البيت .

كما يمكن للمقربين من أهل الزوجين أو الأصدقاء الاسترشاد بها وتطبيق المناسب منها في حالات مختلفة كذلك . وذلك عندما يتأخر الصلح بين الزوجين بسبب العناد أو بسبب الجهل بكيفية التراضي ، أو خشية أحد الزوجين من اتساع شقة الخلاف إن حاول التقرب من صاحبه أو معاتبته أو الاعتذار إليه .

وفيما يلي بعض النماذج والأساليب المفيدة في هذا الباب :

- **في بيت رسول الله ﷺ :**

اعلم يا أخي أن المشاكل الزوجية كثيرة لا تنتهي ، ولا بد أن يكون ثم سوء تفاهم بين الزوجين ، وعلى الزوجين أن يحكما عقلهما لحل هذه المشاكل ولا يجعلا للشيطان سبيلاً بينهما ، وليبدآ بحل المشكلة سريعاً حتى لا تتفاقم وتتعاظم . وليكن الزوج هو المبادر لحل المشكلة لأنه رب البيت والمكلف الأول فيه . وليأخذ المشكلة بروح السماحة والطيبة كما فعل النبي

ﷺ في القصة التالية :

استأذن أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال : لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ، فجعل رسول الله ﷺ يحجزه ، ثم خرج أبو بكر مغضباً ، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر : «أرأيت كيف أنقذتك من الرجل ؟» .

فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا . فقال لهما : أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما . فقال النبي ﷺ :«قد فعلنا» .

لاحظ كيف صنع النبي ﷺ في هذه الحادثة ، فبعد ان رفعت السيدة عائشة رضي الله عنها صوتها في وجهه نرى أنه عليه الصلاة والسلام قد مازحها قائلاً : «أرأيت كيف أنقذتك من الرجل ؟» وبمثل هذا العمل وهذه المعاملة اللطيفة يدخل الرجل قلب زوجته ويطيب خاطرها ، ويستميلها لجانبه[1] .

- **حيلة وذكاء:**

كان عبد الملك بن مروان من أشد الناس حبًّا لامرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فغضبت عليه يوماً ، وكان بينهما باب فحجبته وأغلقت ذلك الباب ، فشق ذلك على عبد الملك فشكا إلى خاصته ، فقال له عمر بن بلال الأسدي : مالي عندك إن رضَيت ؟ قال : حكمك ، فأتى عمر بن بلال بابها باكياً ، فخرجت إليه جاريتها ، فقالت : مالك ؟ قال : كان لي ابنان لم يكن لي غيرهما فقتل أحدهما الآخر ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل

---

(١) خالد سيد علي ، صيد القلم ، ص (١١٩) .

الآخر ، فقلت : أنا الولي وقد عفوت . فقال : لا أعوِّد الناس هذه العادة .

ورجوت الله أن يحيا ابني هذا ، فدخلت الجارية إليها فذكرت لها ذلك ، فقالت : فما أصنع من غضبي عليه ، وما أظهرت له ؟ فقالت : إذاً والله يقتل ابنه . فلم تزل بها حتى دعت بثيابها فلبستها ، ثم خرجت إليه من الباب ، فأقبل الخادم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! عاتكة قد أقبلت ، فقال : ويلك ما تقول ؟ قال : قد والله طلعت . قال : فأقبلت فسلمت فلم يرد ، فقالت : أما ـ والله ـ لولا عمر بن بلال ما جئت قط ، فلا بد أن تهب لي ابنه ، فإنه الولي وقد عفا . قال : إني أكره أن أعوِّد الناس هذه العادة . فقالت : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين . فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن يزيد . فلم تزل به حتى أخذت رجله فقبلتها ، فقال : هو لك ، فلم يبرحا حتى اصطلحا . قال : ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال له : رأينا ذلك الأمر ، حاجتك ؟ قال : مزرعة بعبيدها وما فيها ، وألف دينار ، وفرائض لولدي وأهل بيتي ، وإلحاق عمالي . قال : ذلك لك[1] .

- **الاعتذار الدافئ:**

في كتابه «الحب يعني اثنين» يروي (تشاك جالاغر) مثالاً على مصالحة جرت بين زوجين إثر مشادة حادة وقعت بينهما . . لم يدخر الزوج وسعاً خلالها في إطلاق الكلمات المهينة الجارحة لزوجته .

في اليوم التالي كان يفكر في الأسلوب الأمثل لمصالحتها . ماذا سيفعل؟ لقد كان جارحاً أكثر مما يحتمل . . ولن يكفي أن يبالغ في اللطف تعبيراً عن الاعتذار .

---

(١) المرجع السابق . ص (١٥١) .

وعندما وصل المنزل . . كانت آثار البكاء تطل من عيني زوجته الحمراوين المتفختين . وعندما حاولت يداه الإحاطة بكتفيها ومواجهتها . . تصلب جسمها وأشاحت بوجهها عنه . لكنه تشبث بها وقال : حبيبتي . . لقد كان سلوكي قبيحاً جداً بالأمس . لا يكفي أن أقول : أنا آسف . . ولكن هل تسامحينني ؟

استرخت عضلات جسمها بين يديه ، وأجهشت بالبكاء وهي تدفن رأسها في صدره وهمست بعد لحظات : نعم أسامحك .

وعندما توقفت دموعها قالت : لقد كنت أعد العدة لموقف عاصف جديد . أردت أن أوضح لك مدى الإيذاء الذي سببته لي بالأمس . لكن عندما طلبت مني أن أسامحك . . توقفت فجأة عن التفكير في مساوئك . . وبدأت أدرك أنني لست إنساناً كاملاً . . ومن أكون أنا لأمنحك العفو ؟! لقد وضعت نفسك بين يدي ولن أنسى هذا أبداً .

- **الانحناء للعاصفة حتى تمر:**

استدعى مدير المؤسسة «وليداً» ووبخه على خطأ لم يرتكبه في عمله ، ولم يجرؤ وليد هذا على الاعتراض أو توضيح الموقف لرئيسه . ولكن عندما عاد إلى المنزل كان يغلي من غضب مكبوت ، ولم يلبث أن انفجر ثائراً في وجه زوجته لمجرد أنه لم يجد الخف القديم (الشبشب) في المكان الذي تركه فيه . ولكن زوجته الفطنة أدركت أن الأمور لم تسر على ما يرام بالنسبة لزوجها في ذلك اليوم . وانتظرت حتى انتهيا من تناول طعام العشاء ، واستدرجت زوجها ليتحدث عما يضايقه . وما أن تحدث إليها عن متاعبه حتى شعر بارتياح كبير . وعندما حل موعد النوم كانت نظرته للحادث قد

تغيرت . واستشعر حنوًّا مفرطاً نحو زوجته [١] .

● **اللص الوهمي:**

تخاصم زوجان وتدابرا أياماً وافترقا في الفراش ، فصار الزوج ينام في غرفة الضيوف وبقيت الزوجة تنام في غرفة النوم . فعلم جارهما بالأمر . وفكر في طريقة ذكية للإصلاح بينهما ، وهو يعرف مسبقاً أن زوجة جاره مخلوعة القلب ، تخاف من صفير الصافر ـ كما يقولون ـ فقال في نفسه : إن الزوجة شديدة الخوف ولا سيما في ظلمة الليل ، فإذا ما سمعت صوتاً أو حسيساً خارج البيت يصيبها الذعر فتجفل ولا يغمض لها جفن . فذهب الجار خلسةً والتقط بعض الحصيات من الأرض ، ومن بعيد أخذ يرمي بها الغرفة التي تنام فيها الزوجة ، وأحدث جلبة كجلبة اللصوص . فاستيقظت مذعورة وهرعت إلى غرفة الضيوف حيث ينام زوجها ، وهي تلهث وتلتقط أنفاسها من الخوف لتخبره بأمر اللصوص الذين سمعت أصواتهم خارج البيت ، فخرج الزوج مسرعاً ومعه الأضواء الكشافة وبحث في حديقة المنزل فلم يجد أحداً ، فقال لزوجته : أنت واهمة أو ربما رأيت ذلك في المنام ، وطلب منها العودة إلى فراشها ، فأبت إلا أن تنام معه في مهاد واحد ، و دفنت رأسها في حضنه طالبة الأمان والاطمئنان والحنان . وهكذا اصطلح الزوجان بفضل وعي جارهما الطيب وذكائه .

تنبيه: في مثل هذا الموقف ينبغي على الزوج أن يكون كريماً ومتسامحاً مع زوجته الملتجئة إليه ، ويستوعب مثل هذا السلوك وألا يرد

---

(١) هذا المثال البسيط يمكن أن يكون نموذجاً للأسلوب الذي يجب أن نسلكه لتوفير الاستقرار والطمأنينة في حياتنا الزوجية عندما تنتابنا بعض المشاعر والأحاسيس السيئة ، فإذا لم تكن زوجة هذا الرجل حساسة بالنسبة لمزاج زوجها ، لما تقبلت ثورته عليها ، ولربما بكت أو اصطدمت معه . وبذلك يمكن أن يتطور الأمر إلى معركة حقيقية . (تحفة العروس : ٤٠٥) .

الضيفة العزيزة ، أو تأخذه العزة فلا يقبل منها ذلك . فسلوك الزوجة هذا ـ وإن بدا عفوياً ـ فهو ينطوي على نوع من الاعتذار والرغبة في الصلح ، وإن لم تنطق بالاعتذار شفتاها . فهي فرصة سانحة للتصالح ونسيان ما كان .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلا يعني سرد هذا الموقف أنه يمكن تكراره بنجاح ، وإنما نحن نذكره بصفته موقفاً حصل على هذه الصورة ، بيد أنه يمكن تطبيق هذا الأسلوب بالتنسيق مع الزوج إذا كانت العلاقة الودية بين الجيران تسمح بذلك ، وإلا فلا ؛ لئلا تثير مثل هذه المحاولة بدون تنسيق مسبق الشكوك والظنون فتصنع خلافاً آخر بين الجيران والأصدقاء .

- **مباغتة لطيفة:**

اختصم رجل مع زوجته وتقاطعا ، وغادرت الزوجة بيتها إلى بيت والدها رافضة الصلح والعودة . وبعد أيام جاء زوجها يريد ترضيتها وارجاعها إلى بيته . فرحب أبوها بالأمر ، واحتال للإصلاح بينها وبين زوجها ، فاستغل وجود ابنته في إحدى غرف النوم بلباس غير محتشم . فدخل هو وزوجها فجأة إلى حيث تجلس ، فارتبكت وتوارت بزوجها كي لا يراها أبوها على حالها الذي تستحي أن يراها أحد عليه سوى زوجها ، فما كان من أبيها الا أن رجع بسرعة وأغلق عليهما الباب ، وتركهما يتصالحان . وبالفعل فقد تم ذلك بفضل وعي الأب وذكائه . وعادت مع زوجها راضية مسرورة .

- **جهاز التسجيل والكتاب:**

من الأساليب السهلة والبسيطة التي يمكن أن تستخدمها النساء لإصلاح أزواجهن وتعديل سلوكهم ، أو التصالح معهم إذا نشب خلاف وتمخض

عن تدابر ومقاطعة ، إيجاد الميل لديهم للمطالعة وسماع الأشرطة الصوتية المسجلة ، فتنتقي منها ما تراه مناسباً لحالة زوجها وتقنعه بقراءة الكتب المنتقاة وسماع الأشرطة المختارة ، فإذا كان خصام وتدابر ولا مجال للحديث حينئذ ، فتضع الكتب على المنضدة الصغيرة حيث يفضل الجلوس في وقت الراحة أو السهر ، فلا بد أن يدفعه الفضول لتناول الكتاب ومطالعته وربما يشده الكتاب فيقرؤه بتعمق ، فقد يحدث ذلك عنده الأثر المطلوب ، أو تهييء شريط المسجل بالمادة المناسبة وتديره في مكان جلوسه ليسمع ما تريده أن يسمعه من المواعظ والتوجيهات والنصائح والقصص الهادف ، فلعله يتأثر بما يسمع ويغير من سلوكه بالاتجاه المرغوب . وإن اختارت الزوجة هذا الكتاب أعني (سلام البيت) فقد اختارت أنسب الكتب التي يراها المؤلف مفيدة لذلك .

ويمكن للزوج الكريم اتباع الأسلوب نفسه مع زوجته إذا كانت هي المخاصمة والمعاندة ، أو كانت بحاجة إلى شيء من التربية والتوجيه والإرشاد . ويدعو الله أن يوفقه في ذلك ، فهو سبحانه مقلب القلوب والموفق والهادي إلى سواء السبيل .

- **بطاقة الاعتذار:**

حدث خلاف بين زوج وزوجته ، فآثر الصمت والهدوء . وفي مساء اليوم التالي وجد تحت الوسادة رسالة رقيقة من زوجته تعتذر فيها إليه ، وأوضحت له بأنها كانت متعبة وعصبية ، وتطلب منه أن يسامحها ، فهي واثقة من عطفه وقلبه الكبير وخلقه الرفيع . فسُرَّ الزوج بهذه الرسالة الرقيقة وبهذا الأسلوب اللطيف ، وقبل اعتذارها ومصالحتها .

- **التلميح بزوجة ثانية:**

إذا كانت الزوجة هي الناشز ، وطباعها ليست مما يرضي الزوج ، ولم تغير ما بها مما يضايقه منها رغم النصح والتوجيه والإرشاد ، فقد يكون أحد أساليب التأديب والتهذيب تخويفها أو تهديدها تلميحاً لا تصريحاً بعقد النية على اتخاذ زوجة ثانية تكون ضرة لها ، وهو ما يهدد مستقبلها إن بقيت على هذه الطباع ويضعف مكانتها في البيت وفي قلب الزوج ، فلعل ذلك يثنيها عن عنادها وغرورها ويكسر شوكتها ويخفف من عنفوانها وتطاولها على زوجها . على أن يتم التلميح بصورة غير مباشرة ، أي عن طريق آخرين. ولكن هذا الأسلوب قد تكون له نتائج عكسية إذا لم يكن الزوج حكيماً في اللجوء إليه.

- **استثارة القيم / تنبيه الغيرة:**

إن تهديد القيم التي يتسلح بها الزوجان قد تفلح في كثير من الأحيان في الإصلاح بينهما عند الخلاف . فإذا أحس أحد الزوجين أن هناك إجراءات أو توجهات لدى القاضي أو وسيط الصلح يمكن أن تهدد قيمه التي يتمسك بها ويدافع عنها ، فقد يدفعه ذلك إلى التنازل عن شروطه وعناده والاستجابة راغماً لمطالب الصلح والتحرك في الاتجاه الذي يحمي فيه قيمه . ومن أمثلة ذلك ما تقوله القصة التالية :

جلس موسى بن إسحاق قاضي الري والأهواز في القرن الثالث عشر الهجري ينظر في قضايا الناس ، وكان بين المتقاضيين امرأة ادّعت على زوجها أن لها عليه خمس مئة دينار مهراً لها ، فأنكر الزوج أن لها بذمته شيئاً ، فقال القاضي : هات شهودك . فقال : قد أحضرتهم . فطلب القاضي من أحدهم أن ينظر إلى وجه الزوجة ليشير إليها في شهادته . فقال

الزوج : ماذا تريد منها؟ . فقيل له : لا بد أن ينظر إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عنده معرفته بها . فكره الرجل أن تضطر زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس ، فصاح : إني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي ذكرت ولا تسفر عن وجهها . فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في زوجها هذه الغيرة ، وأنه يصونها عن أعين الناس . فقالت للقاضي : إني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة [١] .

- **التصويب بضرب المثل:**

قد يخطئ الرجل خطأ لا يجب أن نؤاخذه به ، فمن الأدب ترك مؤاخذته ، وإنما بعد هدوء العاصفة يجب أن يبتدع حديث عن شيء مماثل يتضح فيه وجه الخطأ حتى يدرك الزوج خطأه بأسلوب المقارنة الذاتية التي تنشأ طبيعياً في نفس كل إنسان ، وذلك رحمة به من الوقوع بالمكابرة . ولعله من أجل هذا قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم ببيت في الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا» [٢] .

وقد يعز على المرء أن يكون معه الحق ثم يترك الدفاع عنه ، ولكن النفس العظيمة تتخلى عن شهوة الانتصار الجدلي فتربط حوارها مع الآخرين بهدف واضح مخلص هو الوصول بالآخر إلى الحقيقة .

ويجب أن يتم الوصول إلى الحقيقة برفق ، ويجب أن يكون شعار الاثنين قوله تعالى : ﴿وليتلطف﴾ [الكهف ١٩] . تلك الكلمة التي جعلها الله واسطة العقد في القرآن الكريم . فإن ذهبت تعد كلمات القرآن الكريم من أوله أو من آخره وجدتها الملتقى لنصفي القرآن . وكأنها تقول : على

---

(١) عبد الله علوان : تربية الأولاد ، ص (٥٢١) .

(٢) أخرجه أبو داود .

التلطف يدور كل ما في القرآن من سلوك وتشريع[(١)] .

- **إياك أعني واسمعي يا جارة:**

قد لا يجد الزوج وسيلة يخاطب بها زوجته الزعلانة ليوضح لها رغبته في الصلح معها واسترضائها إلا طفلهما الصغير ، فيخاطبه بصوت مسموع ، وعلى مسمع من زوجته ، فيقول كل ما يريده من اعتذار أو مصالحة أو رغبة في التلاقي... إلخ .

فلا بد والحالة هذه أن تبادر هي إما إلى الصلح المباشر ، وإما مخاطبة الطفل بما يفهم منه أنها عاتبة ، ولكنها راغبة في الصلح ونسيان الخلاف .

وإذا كان الطفل مميزاً بحيث يدرك مرامي الكلام ، فيستطيع الزوجان المتخاصمان توسيطه للصلح بينهما ونقل كلام أحدهما إلى الآخر . فلا يخفى ما للأطفال من قوة وتأثير في استدرار العواطف ، وتكوين ميل الأبوين للصلح وإزالة التنافر بينهما .

- **دبلوماسية على الورق:**

إن العتاب المباشر والنقاش الحاد قد يفضي في كثير من الأحيان إلى ما لا تحمد عقباه ، ولا سيما إذا كان الزوجان من النوع العصبي المزاج الحاد الطبع ، ولذلك ينصح الزوجان الكريمان باللجوء إلى دبلوماسية الكتابة ، وبموجب هذا الأسلوب يعاتب كل منهما صاحبه كتابة على الورق ، ثم يخلو كل منهما بورقة صاحبه ويقرأها بتأنٍّ وروية ، ويعلق عليها أو يرد رداً جميلاً ، ويوضح له فيها كل ما يريده منه ، حتى يتوصلا إلى حل وسط أو نقطة التقاء ، ثم يعتذر كل منهما لصاحبه على الورقة التي يتبادلانها أو مباشرة وفق ما يتفقان عليه . ذلك أن العتاب والنقاش على الورق يتم في

---

(١) المرأة في التصور الإسلامي ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

الغالب بنية الصلح والتقارب ، ويتم التركيز فقط على النواحي الخلافية . بينما النقاش المباشر وجهاً لوجه يصاحبه عادة رفع الصوت والانفعالات الحادة ، وربما ينتقل التركيز من موضوع الخلاف إلى الأشخاص ذاتهم ، وقد يمتد إلى أبعاد جديدة ، ويتعمق فيستعصي على الحل .

ومن جهة أخرى فإن العتاب والنقاش الذي يكون على الورق ، يتم في الغالب بدون انفعال أو ثوران ، ويحرص المتعاتبان على انتقاء الكلمات المهذبة والعبارات الجميلة التي تخلو من الشتائم والسباب . فالذي يكتب ـ في الغالب ـ لا يستحضر في ذهنه الكلمات والعبارات الجارحة ، كتلك التي تخرج من فيه بدون وعي وهو في ذروة الانفعال والهيجان .

لهذا نجد الكثيرين عندما يدونون أفكارهم يتراجعون عن بعض الكلمات والعبارات ، فيمحونها أو يشطبونها ويستبدلونها بعبارات أخرى ، يرونها أفضل وأدق تعبيراً أو أقوى حجة ، وهو ما لا يتم في أسلوب النقاش المباشر .

الفصل السادس

تدابير وقائية مانعة للخلافات الزوجية[١]

ثمة قواعد للتعامل الأسري بين الزوجين ، متى حافظ الزوجان الكريمان على الالتزام بها في علاقتهما الزوجية داخل البيت وخارجه من شأنها إدامة الألفة بينهما وإشاعة جو السعادة والسلام في حياتهما ، وتمثل هذه القواعد تدابير اجتماعية وقائية مانعة للخلاف والصدام بين الزوجين ، وقد جاءت بصورة نصائح ، بعضها موجه إلى الزوج والبعض الآخر موجه إلى الزوجة .

إليك أيها الزوج الكريم:

(١) لا تتبع أخطاء زوجتك وتحصها عليها ، فإن كثرة اللوم والعتاب تفسد العلاقة بينكما وتهدد الحياة الزوجية ، فتغافل عن زلة زوجتك وأقل عثرتها والتمس لها عذراً إذا كان هناك محل للعذر .

(٢) ينبغي الحذر من اتصاف العلاقة بين الزوجين بالجدية القاتلة ، فإن اتصاف الحياة العائلية بالصبغة العسكرية يعد سبباً من أسباب الفشل ونذير السوء . ويجدر بالزوج الكريم تخصيص وقت للهو والمرح مع زوجته وأولاده . بيد أن كثرة المزاح تقود إلى قلة الهيبة وعدم الاحترام . ولكن في الاعتدال والموازنة بين الجد والمزح تسير الأمور في الاتجاه الصحيح .

---

(١) انظر : ١ ـ مروان القيسي . دراسات في الأسرة في الإسلام ص (٥٦ ـ ٦٠) .
٢ ـ محمد رشيد العويد : قالت لي جدتي ، ص (٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٩٢ ، ٩٩) .

(٣) ليس هناك إنسان كامل ، فقد يرى الزوج في زوجته خصالاً لا تنسجم مع مزاجه وطبيعته ، فإن كانت هذه الخصال لا تتعارض مع أصول الشريعة أو طاعة الزوج وحقوقه ، فعليه حينئذ ألا يحاول تغيير شخصيتها لتتفق مع مزاجه ، وعليه أن يتذكر دائماً أن لكل من الزوجين شخصية تختلف عن شخصية الآخر ، وأن يتذكر أيضاً أنه إن كان في زوجته صفات لا تعجبه ، فإن فيها صفات أخرى لابد أن تعجبه .

(٤) لا تتردد إذا كنت مقتدراً أن تحسن إلى زوجتك في الكسوة والطعام ، وأن تكون كريماً في الإنفاق عليها بحدود إمكاناتك .

(٥) لا تتهاون في وضع حدٍّ لارتكاب أية مخالفة شرعية ترتكبها الزوجة أو أحد الأولاد في المنزل أو خارجه ، وقد يكون هذا السبب الموجب لغضبك فلا تنفعل لأي سبب . ولا تسمح أن تتسيب الأمور نتيجة للمرونة ، بل وازن ذلك بنوع من الجدية والحزم ، دون أن يكون فيها غلظة وقسوة .

(٦) المرأة هي سيدة البيت والمسؤولة عنه ، فلا تحاول أن تتدخل في أمور لا تدخل في دائرة اختصاصك ومسؤولياتك كالطعام وترتيب المنزل ، وإذا كان على الزوجة أن تقوم بأعباء المنزل الكثيرة فمن باب إكرام الزوجة وحسن معاشرتها أن يمد الزوج يد المساعدة لزوجته في المنزل ولا سيما في حالات المرض والولادة وما شابه ذلك . وليس من العيب ـ بل من الأدب ـ أن يشارك الزوج في الاعتناء بشؤونه الخاصة كإصلاح الثوب وتنظيف الحذاء . . إلخ .

(٧) احذر أن تعاتب زوجتك أو تعاقبها على خطأ ارتكبته بحضور الآخرين ، ولو كانوا أبناءك ، فإن ذلك أمر ينافي اللياقة والاحترام . وإذا اضطررت لمعاقبتها لسبب معقول ، فليكن ذلك هو هجرك لها في الفراش .

وتجنب السباب والشتائم والضرب ووصفها بالقبح والغباء والحمق ، فتلك أمور لا تليق بالزوج المسلم . وحتى إذا خاطبتها أو عاتبتها فليكن ذلك على انفراد ، واختر اللطيف من الألفاظ والعبارات .

(٨) غيرتك على زوجتك أمر محمود يدل على حبك لها ، ولكن شريطة ألا تبالغ في هذه الغيرة ، فتنقلب عندها أمراً مذموماً . ولا تفاجىء أهلك فتدخل عليهم البيت بغتة كأنك تتجسس عليهم ، بل ادخل عليهم على علم منهم ثم سلم عليهم ، ولا تنس أن تدخل مبتسماً وأن تذكر الله عند دخول المنزل والخروج منه .

(٩) احرص على النظافة في البيت وخارجه ، وحافظ على نظافة فمك وطيب رائحته باستمرار ، ولا تنس العناية بمظهرك وتزين لزوجتك كما تحب أن تراك .

(١٠) احترامك لأهل زوجتك وإكرامك لهم احترام لها وإكرام حتى بعد وفاتها ، شريطة الا يصاحب ذلك محظور شرعاً كاختلاط أو خلوة .

(١١) إن المرأة تأسرها الكلمة اللطيفة والهمسة الناعمة واللمسة الحانية ، وأن الدفء العاطفي بين الزوجين حين يمتزج بمخاطبة الزوجة يضمن قناعتها ويمهد الطريق إلى عقلها وقلبها ويجعلها تتقبل ملاحظتك لها برضا وتسليم .

إليك أيتها الزوجة الفاضلة:

(١) أنت سيدة المنزل وراعيته فتحملي مسؤولياتك بأمانة وحافظي على أثاث البيت ومحتوياته ، واعتمدي الاعتدال والتوفير في النفقات أساساً للمصروف .

(٢) كلما اعتنيت بزوجك وقمت على خدمته تقربت من قلبه ،

فمعظم الأزواج يرون في خدمة زوجاتهم لهم مظهراً من مظاهر الحب ، فلا تهملي واجباتك نحوه وتنبهي لما يطلبه منك . ولا تترددي في إظهار محبتك لزوجك ، فهذا مما يقربه إليك ويشده للبيت والأسرة في وقت كثرت فيه المغريات خارج المنزل .

(٣) حاولي ألا يراك زوجك إلا بمظهر جميل وثوب نظيف ومزينة دائماً ، وانتبهي باستمرار لنظافة أسنانك وطيب رائحة فمك ، وعذوبة لسانك ، وحافظي على ذلك باستمرار .

(٤) اعلمي أن لقدرة زوجك المادية حدوداً ، فارضي منه باليسير ولا تكلفيه ما لا يطيق ، فتغرقيه وتغرقي الأسرة كلها في الديون ، حتى لو كان زوجك من كبار الأغنياء ، فإن الإسراف في الأكل واللباس والأثاث أمر مكروه بغيض ولا يليق بسيدة عاقلة ، وقابلي ما ينفق عليك زوجك وعلى المنزل بالشكر والعرفان ، لا بالجحود والنكران .

(٥) إذا اقسم عليك زوجك أن تفعلي شيئاً ، فليس من الأصول ألا تبرّي بقسمه .

(٦) ناقشي مشكلاتك مع زوجك على انفراد ، ولا تكثري الكلام والنقاش معه إذا لم تلمسي منه رغبة بالحوار أو الحديث ، وتجنبي عادة الرد عليه ، فتلك عادة سيئة قبيحة ، وإذا تكلم زوجك فأحسني الاستماع إليه .

(٧) استقبلي زوجك عند عودته من العمل بابتسامة ، متزينة له في شعرك ولباسك ومظهرك ومتعطرة ، وإذا كان محملاً بالأغراض فخذي منه وساعديه واشكريه وادعي له بدوام العافية وطول العمر [(١)] .

---

(١) يروى أن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن امرأة الحطاب من أهل الجنة بفضل صنيعها لزوجها ، فلما سئلت قالت : إن زوجي إذا خرج يحتطب ـ أي يجمع الحطب من الجبل ،=

(٨) لا تعرضي عليه مشاكلك ومشاكل الأولاد فور عودته من العمل ، أو تبدئي بالشكوى والتذمر ، فإن هموم العمل والإثارات التي تعرض لها طيلة النهار تكفيه ، فإن جئت لتكملي مسلسل متاعبه فعليك وحدك تحمل النتائج إذا غضب وثار في وجهك ، لذا عليك أن توفري الجو الذي يحتاجه رجل يعمل وقتاً طويلاً في مجتمع يعج بالمشكلات والتناقضات والعجائب كمجتمعنا .

(٩) احترامك لأهل زوجك وإكرامهم احترام لزوجك وإكرام له .

(١٠) في حالة غياب زوجك عن البيت ، كوني أكثر محافظة على نفسك ورعاية لماله وأولاده ومنزله .

(١١) ضرورة تخفيف اللوم والنقد ، لوم زوجك ونقده ، فكثيراً ما يكون ذلك سبباً لشجار حاد بين الزوجين ، وفي إثارة مشاعر الكراهية المتبادلة في نفسيهما . وعندما تسير الأمور في الاتجاه الخطأ ، لا يكون الوقت مناسباً لانتقاد الخطأ ، فعندما يغرق الإنسان . . لا يكون الوقت مناسباً لتعليمه السباحة . . أو توجيه اللوم له . . إنه وقت المساعدة فقط .

(١٢) إن كثيراً من الطلبات المتبادلة بين الزوجين لا تلقى قبولاً منهما ، لا لمضمونها ، إنما للأسلوب الذي صيغت به . ولذلك فإذا كنت تودين ألا يعاندك زوجك فراجعي صيغة الطلب أو النصيحة التي توجهينها

= فيبيعه ويشتري ما يحتاجه ـ أحس بالعناء الذي يلقاه في سبيل رزقنا ، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي ، فأعد له الماء البارد حتى إذا ما قدم وجده ، وقد نسقت متاعي وأعددت له طعامه ، ثم وقفت أنتظره في أحسن ثيابي ، فإذا ما ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عريسها الذي عشقته ، مسلمة نفسي إليه ، فإذا أراد الراحة أعنته عليها . . وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها . (المرأة في التصور الإسلامي ، ص ٥١) .

إليه ، واختاري العبارات التي تحبين سماعها فيما لو كنت مكانه ، فلا بد أنه سيلبي طلباتك ، وسيسمع نصائحك وهو راض عنك مسرور بخدمتك .

وختاماً إليك يا أختي الفاضلة هذه الوصية الرائعة التي قدمتها أم واعية لابنتها قبل الزواج :

وصية أم لابنتها عند الزواج :

أوصت أعرابية ابنتها ليلة زفافها فقالت : «أي بنية ، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمةً يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً ، أما الأولى والثانية : الخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير ، وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره . ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتمًّا ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً» .

ما أروع هذه الأعرابية وما أبلغ عبارتها وما أحكم وصيتها وما أسلمها ، وحري بالنساء اليوم أن يقرأن هذه الوصية ويعملن بها ، ففيها مبادئ تماسك البيت وتدعيم أركانه وإضفاء جو الألفة والمودة في أرجائه .

الفصل السابع

محطات ومواقف في الحياة الزوجية

ثمة محطات ومواقف عديدة في الحياة الزوجية تمثل نماذج سلوكية لدى الأزواج ، منها ما يتكرر ، ومنها ما يجيء على سبيل العبرة والعظة ، ومنها ما هو خواطر جميلة دونها المفكرون والمصلحون في هذا الباب ، ومهما يكن من أمر ، فإنه يحسن بالزوجين الكريمين الوقوف عليها ليتأملاها ويتمثلا منها ما يدعو إلى الخير والفضيلة ، ويجتنبا ما سوى ذلك ، وقد رأينا أن نورد هذه المحطات والمواقف على سبيل العبرة والموعظة والنصح ، التوجيه ، أما أهم هذه المحطات فقد جاءت وفق ما يسره الله تعالى كما يلي :

(١)

بعض صفات المرأة الصالحة

المرأة الصالحة شاكرة، وليست لحوحاً أو كثيرة الشكوى:

وما أدراك ما المرأة اللحوح ؟

إنها امرأة ثقيلة ترمي بكل ثقلها إلى الرجل ، وتكتم أنفاسه ، وتضغط على أعصابه . فهي إذا طلبت شيئاً تصر عليه ، وتلح من أجل تحقيقه . وهي دائمة السؤال ، وكثيرة الطلبات ، مولعة بالتأكيد والتكرار الممل على ما ترغب في الحصول عليه .

بينما المرأة الواعية ليست مثل هذه اللحوح ، فهي رقيقة في أسلوبها ،

تطلب الشيء مرة واحدة ، ولا تلح أو تصر عليه ، وإن كررت طلبها أو رغبتها فهذا فقط عندما تشعر أن زوجها نسي أو انشغل عنها [١] .

ومن جهة أخرى فإن أشد ما يقلق راحة الزوج في بيته أن تكون امرأته كثيرة الشكوى والاحتجاج ... فمن الآداب الواجبة على الزوجة ألا تكون كثيرة الشكوى ، واللعن والتأفف والضجر ، فإن ذلك مما ينغص حياة زوجها ويبعدها عن رضوان الله .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن ، فإنكن أكثر أهل النار ، لأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير» [٢] .

إن كل إنسان يحب أن يرى تقدير إحسانه . وما أجمل كلمة «جزاك الله عنا كل خير» أو «أشكرك شكراً جزيلاً» ، أو سلمت يداك ، وبارك الله بك . . إلخ .

إنها تغري بالمزيد من التفضل والإحسان ، والإحسان يزيد من المودة ورباط القلوب . قال عليه الصلاة والسلام : «خير النساء إذا أُعطيت شكرت ، وإذا حُرمت صبرت ، تسرك إذا نظرت ، وتطيعك إذا أمرت» .

وأهم من الشكر المباشر شكر المرأة زوجها والثناء عليه في غيابه ، فإنه يزيده إعزازاً لامرأته ، إذ إنها بثنائها عليه في غيبته عند أهلها وأصدقاء الأسرة تغلق باب الشيطان [٣] .

---

(١) المرأة المثالية في أعين الرجال ، ص (٦٢) .
(٢) المرجع نفسه ، ص (٨٧) . والحديث رواه أحمد .
(٣) المرأة في التصور الإسلامي ، ص (١٣٥) .

تشارك زوجها في صنع الهدف:

كثير من الرجال لا يعرفون ماذا يريدون ، ومن ثم فإن أول ما تصنعه المرأة مع الرجل أن تعاونه على إيضاح آماله ومطامحه في ذهنه ، أي أن تعاونه على أن يدرك ما الذي يبتغيه من الحياة ، ثم تعمد بعد ذلك إلى تقديم مشاركتها الحكيمة لتحقيق أهدافه أو أهدافها ـ ولا فرق ، حيث إن أهداف الرجل ينبغي أن تتوحد مع أهداف شريكة حياته ، والعكس ؛ لأن وجود الهدف المشترك هو أساس الزواج السعيد .

وليس المهم ما هو الهدف ؟ فقد يكون هدفاً علمياً أو أدبياً ، وقد يكون هدفاً مالياً أو اقتصادياً ، أو اجتماعياً . . إلخ ، ليس الهدف هو المهم ، بقدر أهمية اشتراك الزوجين في التطلع إليه والسعي لتحقيقه . فليس الحب أن ينظر المحبان أحدهما في عيني حبيبه ، وإنما الحب أن يتطلع الحبيبان كلاهما في اتجاه واحد[١] .

وتقف بجواره حتى يحقق أهدافه:

وهو أمر منطقي تقوم به كل امرأة حصيفة ، عندما تقف بجوار زوجها ، معاونة إياه بالكلمة الطيبة ، والابتسامة المشجعة ، وتدفعه دفعاً متواصلاً نحو أهدافه المنشودة ؛ فأي نجاح يحققه ليس له وحده ، وإنما هي شريك معه فيه . . ولا أدل على ذلك من الواقع الحي الذي يروي لنا قصة ميكانيكي شاب ، استخدمته (شركة الإضاءة الكهربائية) في (ديترويت) ، وكانت تنقده أحد عشر دولاراً في الأسبوع ، لقاء عشر ساعات من العمل المتواصل كل يوم .

وكان هذا الشاب إذ يعود إلى بيته مساء ، يقضي نصف الليل في حظيرة

---

(١) المرأة المثالية في أعين الرجال ، ص (١١٦) .

قرب منزله عاكفاً على صنع نوع جديد من المحركات. ولكن كان والده، الفلاح الكهل، يرى أن هذا الذي يفعله ابنه مستغرقاً فيه شطراً كبيراً من الليل، إنما هو ضرب من العبث. بل لقد كان هذا هو رأي الجيران وأهل الحي أيضاً، فكانوا يسخرون منه، ويهزؤون به، ولم يتصور أحد منهم أن ما يفعله الشاب قد يسفر عن شيء ذي بال.

سخر الجميع منه، وضحكوا عليه كلهم، إلا زوجته؛ فقد كانت تقضي معه طيلة الوقت في الحظيرة، تشد أزره، وتلهب من حماسه. وعندما يحل فصل الشتاء كانت تحمل له في يدها مصباح الغاز لتضيء له، بينما أسنانها تصطك ويداها تسري فيهما الزرقة، من شدة البرد. ولكنها كانت عامرة القلب بالإيمان بالنجاح، واثقة بأن ما يفعله زوجها سينتهي إلى شيء رائع فريد، حتى لقد كان زوجها يطلق عليها لقب (المؤمنة). واستمرت معه على هذا الحال سنوات ثلاث. وفي سنة ١٨٩٢ أشرف العمل على نهايته، وكان الشاب يومئذ قد قارب الثلاثين من عمره، وفي يوم من أيام تلك السنة تناهى إلى سمع الجيران صوت غريب لم يألفوه من قبل، فهرعوا على أثره إلى نوافذهم فرأوا عجباً ـ رأوا الشاب الذي هزئوا منه (هنري فورد) وزوجته يركبان عربة تجري بلا خيول، وشاهدوا بأعينهم المحملقة المذهولة تلك العربة العجيبة تصل إلى نهاية الشارع ثم تعود.

ويومئذ شهد العالم الحديث مولد اختراع جديد كان له أبلغ الأثر في تطور المدنية. وإذا كان (هنري فورد) هو أبو هذا الاختراع، فقد استحقت زوجته المثالية المؤمنة عن جدارة أن تكون (أم) هذا الاختراع.

وقد سئل (هنري فورد) بعد أكثر من أربعين عاماً من تاريخ اختراعه: ماذا ينشد أن يكون لو عاش على الأرض مرة أخرى؟ أجاب بقوله: لا يهمني ماذا أكون بقدر ما يهمني أن تكون زوجتي بجانبي في هذه الحياة الثانية[١].

---

(١) المرأة المثالية في أعين الرجال، ص ١١٧.

(٢)

الكلمةُ الطيبةُ صدقة

في الحوار التالي سنجد أن بعض الاستجابات تثير الكراهية وتدعو إلى الانتقام . . واستجابات أخرى تتسلل بحب وتحدث التقارب . . وتشيع الحنان .

قال عالم النفس لمجموعة من السيدات : لنفترض وقوع الحادثة التالية مع إحداكن : في صباح أحد الأيام التي يبدو كل شئ فيه يسير في الاتجاه الخطأ : جرس الهاتف يرن . . الطفل يبكي . . الخبز في الشواية يحترق . . فينظر زوجك إلى الشواية غاضباً ويقول : يا إلهي . . متى ستتعلمين تسخين الخبز ؟! فما هو رد فعلك ؟

قالت السيدة الأولى : ألقي بالخبز في وجهه .

قالت السيدة الثانية : أقول له في المرة المقبلة : سخن الخبز بنفسك .

قالت السيدة الثالثة : أبكي لشدة القهر والغيظ .

وسألهن العالم من جديد : وما هو رد فعلك الشعوري ؟ قالت الزوجات : الغضب . . الكره . . الرفض .

وعاد العالم ليوجه السؤال التالي : لنفترض أن الموقف هو ذاته . . احترق الخبز . . ولكن زوجك ينظر إليك مبتسماً ويقول : آه يا حبيبتي . . إنه صباح قاس عليك . . الطفل . . ثم الهاتف . . وها هو الخبز أيضاً .

أجابت السيدة الأولى : سيغمى علي من الفرح .

قالت السيدة الثانية : سأكون في حالة جيدة وأتجه إليه وأقبله .

قالت السيدة الثالثة : سأشعر براحة نفسية عظيمة .

انظر عزيزي الزوج كيف تغير شعور الزوجات تجاه أزواجهن إلى النقيض بسبب تغير لهجة الخطاب ، وهكذا يجب أن تدرك أثر الكلمة الطيبة في نفس من توجه إليه ، وأن تعرف كيف تخاطب زوجتك ولا سيما عندما تتراكم عليها أعباء المنزل .

(٣)

أوهام المرأة العصرية

جاء في كتاب «حول مشاكل المرأة» ، للسيدة (جرمين روبريل) ما نصه :

« . . كلما تحضرت المرأة واعتقدت أنها أصبحت متمدنة راقية ، دار في خلدها أن عقلها يمكن أن يكون أقوى من عقل الرجل ، وأن على الرجل أن يأخذ برأيها في كل شيء ، وأن رأيها قد يكون في معظم الأحيان أعمق وأنفذ وأدق من رأيه ، فهي والحالة هذه تؤمن بشخصيتها إيماناً قوياً ، ولا تسلم في محيط الزوجية بالإذعان للزوج إلا بعد مناقشة طويلة في كل الأمور ، أي بعد تحكيم العقل في مختلف الشؤون البيتية ، وقد يكون هذا العارض البارز في معظم السيدات العصريات دليلاً على شيء من النضج العقلي ، ولكن الواقع أن إسراف المرأة في تمكين هذا العارض من نفسها هو السبب الرئيسي في تصدع الأسرة .

إن آفة الغرور والاستعلاء إن وجدت طريقها إلى المرأة أصبحت الشركة الزوجية مهددة بأخطر أنواع المشاحنات والمنازعات ، فإن الرجل قوام الأسرة بحكم وظيفته التي وهبها الله له ، فإذا حاولت الزوجة أن تغير من خلق الله وسننه ، فإن ذلك لن يعود عليها إلا بأوخم العواقب وأضر النتائج .

والزوجة العاقلة هي التي تقوم بطاعة زوجها وتستجيب لآرائه ونصحه برغبة وإخلاص ، فإذا ما رأت فيها ما هو خطأ في نظرها تبادلت معه وجوه الرأي ، وأرشدته إلى موضع الخطأ بلين ورفق وإقناع ، فالمرأة قد تسلحت منذ القدم بالهدوء والعبارة اللينة التي تفعل فعل السحر في النفوس [١] .

(٤)

التدبير نصف المعيشة

هذا نموذج لما يفعله زوجان جمعهما الحب الصادق ، فتعاهدا على العشرة الطيبة بحلوها ومرها . . تقول الزوجة :

اتفقت أنا وزوجي أن نقوم كل أول شهر برصد راتبنا الشهري والدخل الإضافي ونقوم بتخصيص جزء منه لكل بند من البنود : بند المأكل والملبس ومصاريف الأولاد والنثريات ، وندخر جزءاً بسيطاً احتياطياً لأي ضرورة تطرأ ، كضرورة العلاج مثلاً ، ونبحث معاً فيما إذا كان في الإمكان القيام برحلة ترفيهية مرة أو مرتين ، أو لا نذهب البتة .

ونحن في ذلك التزمنا بتقديم الأهم على المهم فيما يعود علينا بالمصلحة العامة . فمثلاً اتفقنا أولاً على الانتهاء من سداد أقساط (جهاز التكييف) قبل الشروع في شراء (السجاد) وفي أحد الأشهر اتفقنا على أن نستغني عن ركوب السيارة الخاصة لفترة ما حتى نتمكن من القيام برحلة ترفيهية . كما قرر زوجي عن اقتناع أن يمتنع عن التدخين حينما ظهر لنا عجز في دفع رسوم مدارس الأولاد . وقد قررت أنا الاستغناء عن شراء ملابس جديدة لفترة حتى نتمكن من شراء مكتب لزوجي لاستكمال عمله بالمنزل . وبهذا الأسلوب ، أمكننا أن نتغلب على كثير من عقبات الإنفاق التي واجهت كثيراً من الأزواج [٢] .

* * * * *

---

(١) فن التعامل مع الأزواج ، ص (١٣) .

(٢) المرجع نفسه ، ص (٢٦) .

إن إرهاق الزوج بما لا يتحمله ولا يطيقه لمن ضعف العقل ونقص الإيمان . وإذا كان من خُلقك المقارنة بينك وبين غيرك في كل شيء ، فإنك سوف تلاقين العنت والشدائد في حياتك الزوجية ، فإن الله لم يخلق الناس متساوين ، فخلق الأبيض والأسود ، والغني والفقير ، والقوي والضعيف ، والحياة لا تستقيم إلا باختلاف درجات الناس .

فإذا كنت متبرمة بحياتك غير راضية بما أنت فيه فذلك من الحماقة ، فإنك إن تركت لنفسك العنان فالدنيا كلها لن تسع رغباتك وميولك ، ولن تنالي إلا الندامة . ولكي تهدأ نفسك عليك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعلم الناس فيه الرضا :«انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله» .

ولتعلمي أيتها الزوجة أن التفريط في أموال زوجك بغير حق ليس تفريطاً في الأمانة المعقودة بعنقك فحسب ، وإنما فيه كذلك إساءة للكيان العائلي ، ومعصية لله تعالى . إن الله الذي حبب إليك الإحسان والتصدق قد حرم عليك أن تتصدقي من مال زوجك إلا بإذنه ، فإن أنت فعلت ذلك بغير موافقته كان له ثواب الصدقة وعليك وزر المعصية ، هذا في الصدقة والإحسان ، فما بالك بالتصرف في ماله بغير حق[١] .

(٥)

ما العمل إذا كان زوجك قاسي القلب ؟

إن بعض الرجال يتظاهرون بالقسوة والشدة في حين أنهم في الحقيقة أطيب ما يكونون . فلا تكوني أنت قاسية القلب والمشاعر ، بل حاولي ملاطفته والتقرب إليه . .

---

(١) فن التعامل مع الأزواج ، ص (٢٤ ، ٣٨) .

وانظري له دائماً على أنه حبيب الماضي الذي تقدم لخطبتك وأحببته ورضيت مشاركته ، ولا تجعلي مشكلات الحياة تشوه لك هذه الصورة الجميلة عن زوجك ، فقد يكون إرهاقه في العمل سبب قسوته . . فالحياة هذه الأيام صعبة والأسعار في ارتفاع مستمر ، وأنت قد لا تدركين مقدار العناء الذي يلقاه زوجك لكسب لقمة العيش . .

واعلمي أننا جميعاً لدينا نواقص وعيوب ، فلا تتوقعي أبداً أن يكون زوجك بلا أخطاء أو عيوب ، وحاولي التغاضي عن هذه النواقص أو التكيف معها بشتى الطرق ، حتى تسير الأمور بسلام ، وكل شيء يمكن التكيف معه مع الوقت[١] .

(٦)

بين الحب والتحبب

الحب حالة شعورية مبعثها الارتياح والانبساط لمرأى الحبيب وسماع صوته والأنس بحديثه والرغبة في الجلوس إليه ومسامرته ، أما التحبب فسلوك أحد الطرفين لزيادة الشعور بالحب وإدامة العلاقة الحميمة بينهما . وقد يتخذ التحبب صوراً عديدة ، منها العناية بالمظهر الشخصي وفق ما يرغبه المحبوب ويرتاح إليه ، ومنها مداعبته والاحتكاك به واحتضانه وتقبيله ، ومنها إكرامه وزيادة الاهتمام به ومراعاة شعوره . . إلخ .

كتبت إحدى السيدات متحببة إلى زوجها تقول[٢] : أتذكر ذات يوم وأنا أغتسل في الحوض ، فدخلت وفركت ظهري . . تفكيرك بي وبما يعوزني سرني وأفعم قلبي جذلاً .

... أتذكر ليلة الأمس القريب تلهفت نفسي إلى بوظة الفستق ، فما

---

(١) المرجع نفسه ، ص (٣١) .

(٢) عايدة الرواجبة : سر الحياة الزوجية السعيدة ، ص (٥٢ ، ٥٣) .

كان منك إلا أن ذهبت تبحث عن محل لبيع البوظة ، وأتيتني بمطلي .. أنت زوج رائع قلَّ مثالك .

ثم دست الورقة التي كتبت عليها هذه السطور في جيبه ، فلما قرأها زاد سروراً وانتعاشاً ، ولم يقصر في مبادلتها عبارات الثناء والمديح والذكريات الجميلة .

إنه كلام يشعل نار الحب .. وهكذا تتحبب المرأة إلى زوجها ، ويتحبب الرجل إلى زوجته .

وكتبت السيدة نفسها تقدم النصيحة للزوجين ، تحت عنوان : «قدِّرا أهمية اللمس» :

... أعربي عن إحساسك بوجوده ، بلمسة ود ، بربتة حب ، بضمة إلى القلب ، بحك الظهر . وكلما مررتما بالقرب من بعضكما البعض ابتسما ، وانطقا بعيونكما ، وارميا بقبلة ، اعبثي بشعره ، فالعاطفة لها تعابير شتى تعزز تقدير الشخص لذاته .

ثم ماذا عليك لو ساعدتيه بارتداء القميص وربطة العنق ، وضمختيه بالعطر الذي يفضله عند ذهابه للعمل ، وماذا عليك لو استقبلتيه عند عودته بحفاوة ، ودعوت له بالسلامة ، وأخذت منه ما يحمل مما اشتراه للبيت من السوق ، ثم ساعدتيه في خلع ملابس العمل ؟

إن كثيراً من الزوجات المتحببات إلى أزواجهن يلجأن إلى عنصر المفاجأة ، فتنتظر إحداهن عودة زوجها إلى البيت ، فتفاجئه بعطر جديد ، وثوب أنيق يظهرها في صورة مختلفة ، حتى لو كان أقل جمالاً من صورتها الأصلية ، لكن المهم التغيير ، وقد تكسر رتابة السهرة المملة كل يوم أمام

التلفزيون وتفاجئه بدعوة للعشاء عند أهلها ، أو بوجبة منزلية جديدة لها ذكرى في خاطره . . ذلك أن معدة الرجل تساعد كثيراً في الوصول إلى قلبه .

إن سلوك التحبب يشعل نار الحب ، ويملأ بيت الزوجية سعادة ، يمنع الخلافات ، أو يخفف منها إلى حد كبير ، ويعيش الزوجان في وئام وسلام ، فينعكس ذلك على علاقتهما مع أبنائهما وجيرانهما وذوي رحمهما ، وعلى علاقة الأولاد مع بعضهم البعض كذلك .

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ [الواقعة : ٣٧] : عَرُبت المرأة : إذا تحببت إلى زوجها ، وذكر المفسرون في معنى العُرُب : إنهن العواشق المتحببات الغنجات المتعشقات . كل ذلك من ألفاظها . ومهما يكن من تعدد التفسيرات لمعنى لفظة «العروب» فإنها كلها تؤكد على أن المقصود هو فاعلية المرأة في الاستجابة لزوجها بالتدلل والتلطف والمداعبة[١] .

وللمرأة المعاصرة أسوة حسنة بالسيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت تشارك الرسول ﷺ في متعه وملذاته ، فعنها أنها قالت : كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني بينه ، تختلف أيدينا عليه فيبادرني حتى أقول : دع لي ، دع لي[٢] .

ثم ماذا عليك لو شاركتيه في عمل «دوش» مشترك في الحمام تتراشقان فيه الماء؟ وماذا عليك أن تجلسي بجواره بين الحين والآخر عندما يفرغ من عمله تستمتعان بجلسة هادئة مع فنجان من القهوة ، وتتبادلان عبارات الحب والثناء والمديح . وما أجملها كلمة «أنا أحبك» إنها توقظ الحب الكامن في الصدور .

---

(١) المرأة المثالية في أعين الرجال ، ص (٥٠) .

(٢) رواه مسلم .

قيل للحجاج : أيمازح الأمير أهله ؟ قال : أترونـي شـيطاناً ؟ والله إنـي لربما قبلت أخمص قدميها !!

فمثل هذه المداعبات والملامسات الخفيفة تشجع الرجل على التعبير عن عواطفه بشتى الطرق ، ويكشف عن مشـاعره بشـكل أعمـق . . بشـرط أن تتصف هذه المداعبات بالخفة ودون إفراط أو تكلف في أدائها .

وينصح صاحب كتاب «فن التعامل مـع الأزواج» الزوجـة بتغـيير نمـط المعاشرة الروتينية التي تشعر الرجل بالملل ، فيقول : هناك اقتراحات عديـدة متنوعة يمكنها أن تكسر حاجز الفتور وتذهب بالملل وتنعش رغبتكما . فمـا رأيك لو توليت أحياناً زمام المبادرة إلى الجنس ، بـدلاً مـن اعتيـاد الرجـل على ذلك كل مرة ؟ لا شك أنها فكرة صائبة . لأنها تتوافق مع نزعة أغلب الرجال في الشعور بالقوة والتقدير وحاجة المـرأة إليـه . فـالمرأة حـين تبـادر زوجها بذلك فإنه يشعر بالثقة والتقدير والفحولة ، وكلها أشياء تسـعد أي رجل حين تشعره زوجته بها .

ولكن كيف تبادرين ؟ ليس هناك طريقة أو فعل محدد لـذلك ، فالمـأثور عن الصحابيات (رضي الله عنهن) أن إحـداهن تبـادر زوجهـا بـالكلام المباشر فتقول : ألك حاجة إلي ؟

وقد تعتمد المبادرة لذلك كما هو معلوم على كلمات موحيـة أو رمـوز أو إشارات رقيقة ناعمة تقومين بها تجاه زوجك عندما تتعطـل لغـة الكـلام الصريح ! إنها دعوة للتلاقي والتوافق والمعايشة العاطفية في إطار من الحيـاء الذي هو طابع المرأة العفيفة[١] .

---

(١) فن التعامل مع الأزواج ص(٦٧) .

(٧)

صورتان متضادتان

إن المرأة الواعية ، ذات الدخل المحدود تستطيع أن تحمي أسرتها ذل الحاجة إذا هي تريثت في شراء الفاكهة والخضراوات أول ظهورها . . ثم اشترت لأسرتها حاجاتها بعد ذلك بقليل ، وتستطيع أن تتعرف مواسم تخزين السمن والبصل والبقول والليمون وصنع المربى من الفواكه عند كثرتها ، وتستطيع أن تكسب قلب زوجها باقتصاد يرى الزوج ثمرته ، فتنسج بهذا حول رقبته ستاراً جديداً من الحب والمودة والصداقة لا تنفذ إليه القيان الحسان .

ومن الصور التي تتكرر في هذا المجال ما تقوله القصة التالية :

"اضطر شاب إلى اقتراض ثلاثين ديناراً في احتفال زواجه ، وأهمه الأمر وأقلقه ، حتى رأت عروسه ذلك في وجهه عقب زفافها إليه . ولما اكتشفت الأمر خلعت سواريها وقالت : بعهما ، واجعل دينك عندي بدلاً من الآخرين . فاستجاب لرغبتها . وأعطاها من راتبه ثلثيه ، وجعل لنفسه الثلث . وأخذت الزوجة توفر من مصروف المنزل ، وهو يوفر من مصروفه الشخصي . حتى إذا اكتمل معه ثمن سوارين ، أخذها إلى الصائغ فاشترى لها سوارين أعجباها . فقالت : هيا بنا إلى الساعاتي لنرى ساعة جميلة ، وفوجئ بأنها تدفع ثمناً لساعة رائعة ، وتأخذها وتقلده إياها قائلة : مبارك .

كل يدبر من أجل لحظة يسعد بها الآخر ، فما أحلاها ليلة عقدا فيها بتدبيرهما وإخلاصهما عقداً جديداً للثقة والحب المتبادل .

بينما تزوج آخر بامرأة غنية ، ولكنها أنانية بخيلة ، تحب المال والمتاع أكثر مما تحب زوجها ، فقد ضغطت عليه الظروف التجارية في بعض

الأيام ، فأراد اقتراض مبلغ من زوجته ذات الأساور الذهبية السميكة ، ولكنها رفضت ذلك الرجاء الباكي في عينيه ، فما كان منه إلا أن طلقها ، ورفض الحياة معها إلى الأبد . حيث لا تصلح الحياة ولا تستقيم مع بخيل يعبد المال والمتاع[١] .

(٨)

وصيتان

الوصية الأولى: وصية أم غربية:

أوصت أمريكية ابنتها ، فكان مما جاء في وصيتها [٢] :

١ـ لا يبرح من ذهنك أنك تزوجت بإنسان لا بكائن فوق البشر ، فلا تأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب .

٢ـ قد يكون زوجك بلا قلب ، ولكن له على كل حال معدة يجب إرضاؤها بتهيئة ما تشتهيه من الأطعمة .

٣ـ اتركي له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة والقول الفصل . . ففي هذا ما يسره ولا يضرك .

٤ـ كوني معه على أدب دائماً . وتذكري أنه هو خطيبك الذي كنت تنظرين إليه كمن هو أرقى الكائنات . وأنه لا مسوغ لتغيير وجهة النظر بعد الزواج .

٥ ـ دعيه يعتقد ـ من آن إلى آخر ـ أنه أكثر منك علماً وأغزر معرفةً ، فإن في هذا الاعتقاد ما يسره ويرضي عواطفه ـ باعتبار كونه رجلاً .

---

(١) المرأة في التصور الإسلامي : ص (١١٧) .

(٢) المرجع نفسه : ص (٨٩) .

٦ـ احترمي آله وذويه ، وخصوصاً والدته التي أحبها قبل أن يحبك .

الوصية الثانية: وصية أم عربية[١]:

أوصت أم عربية ابنتها ليلة زفافها قائلة :

. . لا أريد أن أخدعك يا ابنتي : إن حلاوة الزوجية تنتهي بنهاية الشهر الأول الذي لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة في تخيلات تلك الصبوة . فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة في حياتك الزوجية فعليك بالنصائح الآتية :

١ـ اجتهدي أن تنمي فيك السجايا التي حببتك إلى زوجك ، وجعلتك عزيزة في عينيه يوم كنت آنسة . ولا تظني أنك ـ وقد صرت زوجة ـ يجوز لك أن تغيري مظاهرك السابقة . واذكري دائماً أن وظيفة الزوجة لا تبتدئ وتنتهي في مخدعها .

٢ـ لا تسلمي لأحد في دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك ، حتى ولا لأمك التي هي أنا . لا تصغي للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له ، فإنهم أعدى أعدائك .

٣ ـ إذا عرفت خطأ لزوجك أو شعرت بقصور منه فإياك أن تؤنبيه أو تعظيه ، لئلا تعتدي على حق هو لأبويه أو لأخيه الأكبر .

٤ ـ تيقني أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه ـ قوته في لفظه وكفه وعناده ـ لأنه ثقيل في يدك النضيرة . وإنك لتتعبين من حمله . . وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية ـ أي الحادة ـ هي الجمال ،

---

(١) المرجع نفسه : ص (٨٧ ، ٨٨) .

والاستسلام ، والحلم ، واللطف ، والسكينة ، والاتكال ، والخجل ، والبكاء . ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة . ولكن أؤكد لك إنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جداً . كافية لأن تدمث الطباع الخشنة ، وتخفض من غلواء الرجل ، وتحط من كبريائه حتى يجثو أمامك خاضعاً .

٥ ـ لا تعظمي المصائب في بيتك ، ولا تستسلمي للحزن والأسى بعد وقوع النازلة ، يكفي زوجك جهاده خارج المنزل ، فعليك أن تخلقي التعزية والسرور له داخل البيت ، فبُشّي له على أي حال . واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل . وتحيي الرجاء في النفس ، وتوقظ الحمية في أعماق القلب .

٦ـ تحاشي أن تستطلعي أسرار ماضي زوجك[١] . فقد انقضى وفات ، إن وقوفك عليه ما ينغص عيشك . ويجعل هناءك شقاء . ولا تنسي أن زوجك إنسانٌ لااملاك .

٧ـ ارفقي بجيب زوجك ، فلا تستنفدي نقوده لاقتناء الحلي والحلل . وعليك أن تكتفي بما تمس الحاجة إليه من ذلك . أما ما زاد فيعد اسرافاً لا مسوغ له ، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها .

٨ ـ احترمي عواطف زوجك ، وتلمسي مواضع حاجاته ، وبادري إلى قضائها قبل أن يطالبك بها . حببي إلى نفسك حرفته . فإذا كان من أهل الأدب والعلم مثلاً فرتبي أوراقه ومكتبه . ونظفي أقلامه وأدواته . وإن كان

---

(١) أي الأسرار التي ربما تكرهينها في حياته قبل زواجكما ، ولا تفتشي عن عيوبه وسلوكه في الماضي .

طبيباً فافعلي ما يرضيه من ذلك وتولي هذا العمل بنفسك ، لأن الخدم لم يكلفوا حب سيدهم .

٩ ــ اعتني باختيار صديقاتك ، فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك ، ولا تطلعي صديقاتك على كل شيء من دخائل منزلك وأسراره ، مهما بلغت منزلتها عندك .

١٠ـ حينما تجلسين إلى المائدة ، اجتهدي أن تكوني في أوضح مظاهر البهجة والسرور ، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده ، وفساده داع إلى اعتلال الصحة .

(٩)

نموذج لامرأة صالحة:

روي أن شريحا القاضي قابل الشعبي يوماً ، فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له شريح : من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي ، قال له : وكيف ذلك ؟ قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتي ، رأيت فيها حسناً فاتناً ، وجمالاً نادراً ، قلت في نفسي : فلأتطهر وأصلي ركعتين شكراً لله ، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء ، قمت إليها ، فمددت يدي نحوها ، فقالت : على رسلك يا أبا أمية ، كما أنت ، ثم قالت : إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأتركه ، قال شريح : لقد قلت كلاماً إن ثبتِّ عليه يكن ذلك حظك ، وإن تَدَعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها . فقالت : كيف محبتك لزيارة أهلي ؟ قلت : ما أحب أن يملني أصهاري . فقالت : فمن تحب من جيرانك

أن يدخل دارك فآذن له ومن تكره فأكره ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها عشرين عاماً لم أغضب منها في شيء إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالماً[١] .

وهذه إحدى القضايا التي لا تجد عناية من كثير من الأزواج ، مع أن دوام العشرة وهناءة العيش لا تحصل على أتم وجوهها إلا عندما يدرك كل من الزوجين نفسية صاحبه ومزاجه ، وما يحبه وما يكرهه ، وما يرضيه وما يسخطه ، وما يقبله وما يرفضه ، وهذه الأمور لا يتحتم إدراكها بالسؤال ، بل يعرفها الفطن الذكي من الحال والمقال[٢] .

(١٠)

وعاشروهن بالمعروف

هذه رسالة رقيقة من صديق بلغه أن بيت صديقه عرضة للتصدع بسبب خلاف بينه وبين زوجته :

عزيزي الفاضل : أبو سلام[٣] . عصمه الله من الزلل .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

قد تبدو هذه الرسالة غريبة بين أخوين يلتقيان يومياً ، وما كنت لأخط هذه الكلمات إلى شخصكم الكريم لولا حرصي على بقاء جو العلاقة الأسرية لديكم دافئاً ، تحفه السكينة وتشيع السعادة بين أركانه وتظلله البركة والطمأنينة والهدوء .

---

(١) العقد الفريد : ٦/ ٩٢ .
(٢) ناصر العمر : مقومات السعادة الزوجية ، ص ٤٥ .
(   ) سلام اسم اخترعه المؤلف ليوافق به عنوان الكتاب

فقد بلغني مؤخراً أنك صرت حاد المزاج سريع الانفعال تغضب لأبسط الأسباب ، وينعكس ذلك سلباً على علاقتك مع أختنا الفاضلة أم سلام ، وقد تطور الأمر من مجرد الانفعال والعبوس إلى تعمد الإهانة والضرب أحياناً .

ولم أصدق ما سمعت في بادئ الأمر ، حتى تواتر الخبر وشاع ، ولما تكرر الضغط علي من قبل زوجتي ، صديقة زوجتك ، لأقدم لك النصيحة ، رأيت من واجبي أن أصون بيت أخي وجاري العزيز . . من التصدع لا سمح الله ، وبما أنني أقرب الناس إليك أو هكذا أظن ، فكلي رجاء وأمل أن تسمح لي بإسداء النصيحة التي هي أمر الله ، وأن تقدر موقفي هذا راجياً اعتبار هذه الكلمات هي بمثابة نصيحة مخلصة لوجه الله تعالى ، يقدمها أخ لأخيه .

إن مشكلة معظم الأزواج ، يا أخي ، أنهم يعيشون بشخصيتين متضادتين ، وفي الغالب تكون الشخصية اللطيفة المتواضعة خارج البيت ، والشخصية السلبية الانفعالية تكون مع الزوجة والأولاد داخل البيت ، وهذه الازدواجية في السلوك تشكو منها معظم النساء ، حتى زوجات الدعاة والمربين والمصلحين ، وكأن الواحد منهم قد نذر نفسه لإصلاح البشرية ونسي أسرته . أو قل : أصلح في الخارج وأفسد في الداخل ، وليس هذا هو المقبول أو المطلوب في دين الله وشرعه القويم ، فالرسول الكريم ﷺ يقول : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» ، ويقول أيضاً : «إن الله سائل كل امرئ عما استرعى ، حفظ أم ضيع» والله قد استرعانا على الأسرة ، أولاً : الزوجة والأولاد ثم الأقربين ، واختص نفراً قليلاً برعاية مصالح الأمة ، ولكنه تعالى قد استرعاهم أولاً على أسرهم ، بيد أنه حملهم فوق أسرهم حملاً آخر لتقوم به حياة الجميع .

وبما أن الأسرة هي نواة المجتمع والمحضن الطبيعي الدافئ لتربية النشء ورعايته ، فقد أوجب الإسلام صيانته ورعايته والعناية به ، وقرر من الضوابط ما يكفل حمايته وصيانته من التصدع والانهيار ، بدءاً باختيار الزوجة الصالحة وانتهاءً بحسن العشرة.

والسلوك القويم الذي أمر به الإسلام وحث عليه هو لطف المعشر والصدر الواسع ، والقلب الحنون ، وتوج ذلك كله بالبسمة الشفافة ، حيث يكره على المسلم أن يدخل بيته عابساً ، لأن العبوس يغير سلوك المرأة ويجعلها متوترة طوال النهار ، كما يجعلها في اضطراب مستمر.

إن زوجة أحدنا تجلس في بيتها وتكون في حديث مع نفسها قبل أن يأتي زوجها : كيف أقابله ، أي ثوب يحب أن أرتديه ، ما الكلمة الطيبة التي تسره ، ما الطعام الذي يفضله. وتعمل جاهدة على راحته وإرضائه وإدخال السرور على قلبه ، فإذا كان هذا حديثها مع نفسها استعداداً للقاء زوجها ، وتجهد نفسها في سبيل إرضائه وإسعاده ، ألا تستحق ما يقابل ذلك منه من ود وحب وابتسامة وهدية لطيفة وصدراً حنوناً ولطف معشر؟!

إني أجدك يا عزيزي تحب الناس ، كل الناس وتعطف على صغيرهم وترحم ضعيفهم وشيخهم ، وترعاهم وتحنو عليهم ، وهذا ما يظهر من سلوكك مع الناس كلهم ، ألا يدور في ذهنك الحديث نفسه تجاه زوجتك ؟ أيسع حبك وحنانك وعطفك ورعايتك الناس كلهم ويضيق بزوجتك ؟ إن هذا لشيء عجاب !!

أيهما أولى بالرعاية والحب والحنان والعطف ، زوجتك وهي أقرب الناس إليك ، أم الناس البعيد منهم والقريب ؟! يقول الرسول ﷺ : «المؤمن آلف مألوف ، لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». ويقول :

«تبسمك في وجه أخيك صدقة» . فكيف تلتقي الألفة والمحبة التي هي أمر الله مع العنف والعبوس وضرب الزوجة والصراخ في وجهها ؟!

يقول ابن كثير رحمه الله : «اذا أحسنت إلى من أساء إليك . . قادته تلك الحسنة إليك . . إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير لك كأنه ولي حميم . . أي قريب من الشفقة عليك والإحسان إليك» . فإذا كان هذا مع من بينك وبينه عداوة . . فإنه أولى مع زوجتك التي جعل الله بينك وبينها مودة ورحمة .

حبذا لو قرأت سيرة المصطفى ﷺ ولا سيما علاقته مع أزواجه ، لوجدت أن الكثيرين مقصرون كثيراً في حقوق أزواجهم . ففي هديه ﷺ «رفقاً بالقوارير» و «ما أكرمهن إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم» و «ما كان الرفق في شي إلا زانه ، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه».

وفقنا الله وإياك إلى درب الصلاح والرشاد والسداد ، إنه نعم المولى ونعم المجيب . وأرجو أن أسمع عنكما أخباراً طيبة في القريب العاجل ، كما أرجو أن تشرفانا (أنت وأختنا الفاضلة أم سلام) لقضاء سهرة في بيتنا يوم الجمعة القادم .

واسلم لأخيك ...

(١١)

صنفان من الأزواج

في واقع الحياة هناك صنفان من الأزواج ، وذلك بالنظر إلى مدى تعاونهما ومبادرتهما لتقديم الخدمات التي يستطيعان تقديمها إلى زوجاتهما في ظروف معينة .

فالصنف الأول ، وهو الصنف الذي يدعو إليه الإسلام ويصنعه ، ونعني به ذلك الزوج المتعاون ذو المروءة ، المفعم بالحيوية ، الذي يساعد

زوجته في أعمال البيت ، ولا يجد في ذلك غضاضة ، ولا سيما في ظروف مرضها وتعبها وحالات نفاسها ، فلا يضيره أن يقدم لها الطعام ويصنع لها الشاي أو الشراب ، ويعيد ترتيب البيت ويعنى بنظافته وأناقته . أو عندما تقدم الزوجة على أعمال شاقة ، مثل إعادة ترتيب أثاث البيت أو تنظيف البسط والسجاجيد والمقاعد وما إلى ذلك .

فمثل هذا الزوج لا شك أنه يحب امرأته وتحبه ، ويتبادلان المشاعر الطيبة والكلمات العذبة والابتسامات العريضة والضحكات المدوية ، ذلك أن التعاون مطلوب ، والمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى . كما جاء في الحديث .

أما الصنف الثاني ، فهو الزوج الغناج الكسول ، قليل المروءة ، المتواكل في كل تصرفاته على زوجته ، فهو كثير الطلبات ، قليل الحركات ، همه بطنه ومتعه الحسية والمعنوية . فتراه كثيراً ما يستلقي متثاقلاً على ظهره ، يضع إحدى رجليه على الأخرى تارة ، وينزلها تارة ، ويبادلها بالثانية وهكذا ، ويمسح بيديه على صدره ، ويداعب كرشه ، وفي أثناء ذلك تقوم زوجته فوق رأسه تخدمه ، تحضر له الشاي والقهوة والعصير والفاكهة ، وما يطلب ويتمنى ، وهو لا يملّ يرهقها بكثرة الطلبات والخدمات ، وهكذا فهي قائمة قاعدة غادية قادمة تخدم الكسول ذا الكرش النهم ، وكلما جلست بجانبه أو همت بحديث يفاجئها بطلب يتبعه طلب ، إلى أن يغلبه النعاس فيغفو ثم يعلو شخيره . وهكذا على مر الأيام .

فيا عزيزي الزوج ، إذا لم تكن من الصنف الأول ، فإياك أن تكون من الصنف الثاني ، وليس من حسن العشرة أن يكلف الرجل زوجته شططاً وينهكها في تلبية مطالبه ورغائبه ، ويعاملها بما لا يليق بالآدمي ، وليس من الذوق والألفة وحسن الصحبة أن يسخرها لخدمته ، فهي زوجة وصديقة وأنيسة قبل أن تكون خادمة . قال رسول الله ﷺ : «خدمتك زوجتك

صدقة»[1]. وفي هديه ﷺ أنه لم يكن يكلف عائشة أن تناوله كوب الماء ، أو ما يحتاجه من متاع وثياب ، بل كان عليه الصلاة السلام ويصلح من شأنه بنفسه ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويكنس بيته ، وكان في خدمة أهله ، فكانت أزواجه في كنفه كأنهن الملكات . فلا ينبغي للزوج الكريم أن يقلب هذه الصورة المثلى ، ويشوه العلاقة الزوجية بينه وبين زوجته .

(١٢)
الصلح بين ثلاثة طبائع

الناس في أمر الصلح واحد من ثلاث :

فالأول : إنسان رقيق حساس . . يبادر إلى الصلح ويسعى إليه بوحي من دينه وبدافع من فطرته أو حساسيته من العداوة .

أما الثاني : فهو إنسان طيب ، ولكنه لا يبادر الصلح ولا يسعى إليه ، بيد أنه يستجيب لجهود الإصلاح ويقبل الصلح مع خصمه ، متى دعي إلى الصلح أو تحركت جهود الإصلاح في هذا السبيل .

وأما الثالث : فهو خصم عنيد ذو رأس صلب ، لا يلين ولا يقبل الصلح ولا الوساطة ولا الشفاعة التي يتوسط بها خصمه ، ويختلق الأكاذيب التي يبرر بها الخصومة ، ويشتط في طرح شروط مهينة أو محرجة أو صعبة التنفيذ ليذل بها خصمه ، أو يشفي بها غليله من أخيه ، ومثل هذا الصلب العنيد لا شك أنه كثير الخصومات والعداوات ، قليل الأصدقاء ، دائم العبوس ، حاقد لا يستجيب لنداء الأخوة أو الدين أو الجوار ، ولا يجلُّ كبيراً ولا يرحم صغيراً ولا يتواضع لأحد . صديقه الشيطان وقائده إبليس . وهذا شر الأصناف . فمثل هذا العنيد لا تنفع معه

---

(١) كنز العمال .

شفاعة ولا موعظة ولا توجيه.

فيا أيها الزوج الكريم ، ويا أيتها الزوجة الفاضلة إذا لم تكونا من الصنف الأول أو الثاني ، فحاولا أن تكونا ، واحذرا تلك الصفات القبيحة التي يتصف بها أولئك الذين هم من الصنف الثالث ، الذي لا يقبل صلحاً ولا اعتذاراً ، ولا يستطيع العيش بين الناس بدون خصومات أو عداوات.

(١٣)

الاعتذار.. الاعتذار

فالكريم يقدم العذر، ويقبل الاعتذار

إن الاعتذار الجميل يغسل القلوب والنفوس ، ويزيل الاحتقانات والأحقاد ومشاعر الكراهية والنفور ، فإن كثيراً من الناس لا يتقنون هذا السلوك الجميل الذي هو صمام الأمان من تكدر العلاقة الزوجية ، بل هو مفتاح السعادة الزوجية وهناءة العيش. ذلك أننا خطاؤون ، وأخطاؤنا كثيرة ، وإن بدا لنا سلوكنا سلوكاً عادياً ليس فيه ما يوحي بالخطأ أو الغلط ، بيد أن نظرة الناس إلى سلوكنا تختلف بعض الشيء ، وقد يفسرون سلوكنا وإن بدا عفوياً تفسيراً سلبياً ، ولذلك فلا ينقص من قدرنا شيئاً أن نقدم الاعتذار عن سلوك نظنه صائباً أو عادياً ، فضلاً عن الخطأ العفوي الواضح أو المتعمد ، على أن يكون اعتذاراً جميلاً رفيقاً ، هدفه إزالة ما داخَلَ نفوس الآخرين من زعل ووجد وموجبات العتاب والمؤاخذة ، وتقريب القلوب وملئها بالمحبة والصفاء.

ولنعلم أن الاعتذار هو سلوك إنساني رفيع ، مرتبط بصفاء النفس ورجاحة العقل ، وقد تميز به الإنسان عن سائر المخلوقات ، كما تميز به العقلاء عن صغار العقول ومرضى النفوس ، فالدابة لا تعتذر.. لأنها بهيمة ، لا تعرف معنى الاعتذار. وخليق بالعاقل ألا يتشبه بالدابة العجماء.

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

هنا نقف عند واجب الزوجة وواجب الزوج عند حدوث ما يوجب الاعتذار :

أولاً – واجب الزوجة:

أيتها الزوجة الفاضلة ، إذا كان زوجك من النوع الحاد المزاج ، السريع الانفعال ، فدعيه عند ثورته يفرغ شحنة الغضب بالطريقة التي اعتادها ، ولا تكلميه أو تردي عليه كلامه ، أو تنظري إليه نظرة استخفاف أو استغراب ، بل اخرجي من المكان الذي هو فيه ، وتواري عنه حتى تهدأ ثائرته أو تخف حدة هيجانه واضطرابه . وبعد سكون العاصفة وتبدد شحنة الغضب ، تقدمي إليه بهدوء وتلطف بكأس من العصير أو الشاي ، واجلسي بجانبه ، وحدثيه بلطف ورفق بحديث بعيد عن سبب ثورته وهيجانه ، ولا تنظري في وجهه فتهيجيه ، وإذا كنت متسببة في انفعاله وغضبه فاعتذري إليه برفق واطلبي منه الصفح والغفران .

ثانياً – واجب الزوج:

وأنت أيها الزوج الكريم ، إذا كان الله قد ابتلاك بعصبية زائدة ، وحدة في الطبع ، وسرعة الغضب ، تثور لأبسط الأسباب ، وتصرخ عند كل انفعال ، فليكن مما يقابل ذلك منك عند هدوئك وذهاب غضبك الاعتذار إلى زوجتك ، وطلب الصفح والغفران منها . فإن في ذلك دوام المحبة والألفة بينكما ، ذلك أن الاعتذار الدافئ اللطيف يزيل أثر الانفعال ، ويطيب النفوس ، كالماء يغسل الأدران والأوساخ .

إن تراكم الانفعالات دون اعتذار ينغص الحياة الزوجية ويكدرها ، ويزيد من مشاعر الكراهية والنفور لدى الطرفين ، وقد يفضي الأمر إلى

الطلاق وتشرد الأسرة وخراب البيت لا سمح الله . كذلك فإن بقاء الأدران والأوساخ على الجسم دون تنظيف مباشر بالماء يصيب الجسم بالاعتلال والأمراض المختلفة ، وقد يودي به إلى الموت .

(١٤)

خواطر زوج

قال أحد الأزواج : لقد غاب عن زوجتي تماماً جمالها وسحرها القديم ، وكأن صيدها قد أصبح في الحقيبة ؛ فلم تعد بحاجة لمعدات الصيد .

نعم إن كثيراً من النساء يهملن أنوثتهن وأناقتهن بعد الزواج ، وكأن دخولهن إلى الحياة الزوجية يعفيهن من التزيين والتجديد ، كهذه الفتاة التي أحب فيها زوجها حسنها وأناقة هندامها . . واحتفظت بأناقتها وظرفها في مستهل الزوجية . لكن احتفاظها بها لم يدم طويلاً . فكان شغلها الشاغل بعد الزواج تدبير المنزل . فهي لا تكاد تلبس طيلة الوقت سوى ثياب رديئة متسخة كثياب الخدم وقت العمل ، وتحسب هذا أهم واجبات الزوجة الصالحة ، وكلما دخل عليها زوجها رأى فيها الخادمة ولم يرَ فيها الزوجة - ويسأل نفسه : أين أناقتها ورشاقتها وحسنها الجذاب؟ . . لقد أغرقته بين دخان المطبخ وغرفة الغسيل .

إن فيها شباباً وقوةً مما يجعل زوجها يتساءل في حسرة : ولكن أين النصيب المحبوب من هذا الشباب ؟ أين نصيبي من جماله (النظيف) ومن أنفاسه العطرة في ذهابي وإيابي ، وفي إمسائي وإصباحي ؟ . . كيف أعانق روائح البصل والثوم كلما عدت من عملي ، أو كلما ذهبت إليه ؟ . . يا عزيزتي وزوجتي الحبيبة هذا لا ينبغي ولا يطاق . أريدك ريحانة أشمها ووردة أقبلها بين الحين والحين . ألا تجعلين وقت غيابي موعداً لدور

الخادمة ، ووقت حضوري موعداً لدور الزوجة ـ لدور الأناقة والرشاقة والأنثى المتجملة للرجل المشوق .؟؟[١]

(١٥)

كلاكما يريد الصلح ولكن الكبرياء الزائف يمنعه

تشاحنت امرأة مع زوجها وافترقا متغاضبين ، فذهبت إلى النوم في تلك الأمسية من دون كلمة واحدة يقولها أحدهما للآخر . وبينما هما مستلقيان على السرير في غرفة النوم ، لم تعد تشعر بأي غضب ، بل تمنت لو يكلمها زوجها ويتقرب إليها . أما هو فلم يعرف أن الغضب قد فارقها ، وأنها تتمنى أن يصالحها ، فلم يفعل شيئاً مقابل ذلك . بل رأى أن ينتظر حتى الصباح فلعلها تلمح إليه بما يفهم منه أنها سامحته .

لم تشأ أن تتقرب هي إليه وتعيد الاتصال به مكابرة ، على الرغم من رغبتها بذلك . وهكذا راحت تحدق في سقف الغرفة وهي في قرارة نفسها تلوم زوجها لعدم اتخاذه جانب المبادرة ، فقد تأخر في مصالحتها . وهو كذلك يلومها في قرارة نفسه لعدم مبادرتها بالصلح والمسامحة .

إن من العوائق الرئيسية التي تقف في طريق الصلح والتقارب أو النقاش الهادف ميل الناس إلى التعبير باللوم والعتاب ، سواء أكان اللوم صامتاً ، كما فعل هذان الزوجان ، أم صارخاً كما يفعل الكثيرون . والزوجان اللذان يقعان ضحية التصرف المبني على اللوم ، يورطان نفسيهما بحرب باردة لا توفر أية احتمالات للتوصل إلى تسويات .

يجب في هذه الحالة هذه ترك الرد على اللوم باللوم ، أو الاتهام بالسبب في نشوب الخلاف ، بل بالتفكير بكيفية المصالحة ونسيان الخلاف ،

---

(١) فن التعامل مع الأزواج ، ص (٢٧ ، ٥٦) .

فالرغبة في الصلح موجودة لدى الطرفين ، بيد أن كلاً منهما يلقي عبء المصالحة على الآخر ، ويتمنى في قرارة نفسه أن يكون الطرف الآخر هو المبادر إلى ذلك ، وإذا بقي الطرفان يتكل كل منهما على الآخر في تقديم الخطوة الأولى فلن تتم مصالحة أو تقارب ، بل قد يثير التأخر في ذلك حفيظة الطرفين أو أحدهما على الأقل ، وقد يتجدد الخلاف ويتعمق. فلا بد إذن والحالة هذه أن يبادر أحدهما هذه المرة ، على أن يبادر الثاني في المرة القادمة ، فليس من المعقول أن يلقى عبء المصالحة على واحد منهما في كل مرة ، فالزوج له كرامة كما للزوجة ، يجب المحافظة عليها وعدم إهدارها ، فليكن المتسبب في الخلاف صاحب الخطوة الأولى ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، كما جاء في الحديث. وإذا عجز اللسان عن النطق فلتتحرك الجوارح باللمسة الناعمة ، والقبلة الدافئة ، والاحتضان الحنون ، فإن ذلك كفيل بتقريب القلوب وعودة المياه إلى مجاريها النقية[1] .

(١٦)
الصمت في مقابل الصراخ

إن الأوقات التي تشتد فيها الحاجة إلى الصمت ، ويكون معها ـ أي الصمت ـ عظيم الفائدة ، كثير الخير ، شديد الوقاية من الشر ، حين يكون أحد الزوجين غاضباً ، ينطلق لسانه بالكلمات الثائرة ، ويقابله الزوج الآخر بالصمت ، فلا يبادل صراخه بصراخ ، ولا ثورته بثورة ، ولا اتهامه باتهام .

وأنقل هنا تجارب عملية لزوجات قابلن أزواجهن الثائرين بالصمت ، فنجحن في تفادي أزمات خطيرة ، كان يمكن أن تقع لو أنهن بادلنهم

(١) انظر : عايدة الرواجبة : سر الحياة الزوجية السعيدة ، ص ٣١ ، ٣٢ بتصرف .

بصراخ مثله ، أو الكلمات الغاضبة بكلمات مثلها[١] :

• عزيزة عبد الحميد مطوع . موجهة فنية في وزارة التربية بدولة الكويت ، متزوجة منذ عشرين عاماً ، ولديها ستة أولاد ، قالت : إذ كان زوجي في حالة عصبية فإني ألتزم الصمت ، ولا أكلمه ، وهذا الدرس تعلمته بعد خبرة طويلة في الحياة الزوجية . . سكوت المرأة في مثل هذه الأوقات أفضل ، وإذا واجهت المرأة زوجها بالعصبية نفسها ، وقع شجار ، وقد تهتز بسببه أركان الأسرة .

• فوزية اليعقوب ، ربة منزل وزوجة ، قالت : التزام الصمت أهم شرط لنجاح العلاقة الزوجية ، وأجدى من تأجيج المواقف ، وأنا أُفوِّت الكثير من المواقف المتشنجة والخطيرة بذلك ، وهذا أقل شيء مطلوب مني لأكسب في النهاية ، وأتحين الفرصة المناسبة لأتفاهم مع زوجي ، وأسأله عن سبب عصبيته ، وطرق معالجتها . .

• انتصار المصري ، المتزوجة منذ عشر سنوات قالت : (وقت الشدة أتعمد عدم الرد ، ليقيني أن ذلك ـ لو حصل ـ سيؤدي إلى رد آخر يؤزم الموقف أكثر فأكثر ، ولذلك ألجأ إلى الصمت لأتجنب زيادة حجم المشكلة ، فالصبر وطول الأناة ... ضروريان في كل بيت .

إنهن زوجات حكيمات حليمات ، يعملن لصالح بيوتهن ، وأطفالهن ، وأنفسهن ، ويضمنَّ بتوفيق الله وعونه استقرار حياتهن ، وإبعاد شبح الطلاق عن زواجهن ، وكسب رضا ربهن عنهن ، أليس الصمت في حالهن ذهباً ، بل أغلى من الذهب بكثير ؟ فما قيمة الذهب إلى نجاح الزواج في الدنيا ، والفوز في الآخرة ؟

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٤١٦ ، تاريخ ٢٠٠٠/٩/٥م .

ولكن كيف تظفر الزوجة بالصمت مقابل كلمات زوجها الغاضبة ؟

ـ تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في سرها ، ولتكرر هذه الاستعاذة باستمرار ، مادام زوجها ثائراً . ولتحذر من الاستعاذة جهراً ، فقد يزيد ذلك في غضب الزوج وهيجانه .

ـ وتحاول أن تشغل نفسها بعمل من الأعمال . تقول لطيفة س . ن : من خلال تجربتي في فترة زواجي الطويلة ، التي بلغت الآن سبعة وعشرين عاماً ، أرى أنه من الأصوب أن أشغل نفسي مباشرة بعمل في المطبخ مثلاً أو أي عمل آخر ، حين أشعر أنه متوتر الأعصاب ومعكر المزاج .

ـ ولتخاطب نفسها بهذه الكلمات : أيحسبني عاجزة عن الرد عليه ؟ لو شئت لأسمعته أشد مما يسمعني ، ولأفهمته أنه المخطئ ، لكني أريد أن أكسب بصمتي رضا ربي ، واستقرار بيتي .

(١٧)

وجوب ضبط السلوك في البيت

(الحزم في تنظيم أوقات النوم والواجبات)

بعض البيوت حالها كالفنادق ، لا يكاد قاطنوها يعرف بعضهم بعضاً ، وقلما يلتقون . وبعض الأولاد يأكل متى شاء وينام متى شاء ، وقد يطيل السهر على التلفاز ، ويضيع الوقت فيما لا فائدة فيه على حساب واجباته المدرسية ، وبعضهم يكتفي بما يجده في الثلاجة من طعام وشراب ، فيغب منه ما شاء ومتى شاء ، ولا يشارك الأسرة في الجلوس على مائدة مشتركة . وكثير منهم لا يعنى بترتيب ملابسه أو كيها أو تنظيم كتبه وأدواته الخاصة أو نظافتها أو نظافة البيت . . الخ . ومنهم من يسيء استخدام الكهرباء المنزلية ، ويسرف في استخدام الماء ، وربما يترك الصنابير (الحنفيات) مفتوحة أو غير محكمة الإغلاق . . وهكذا ، فيبدو البيت في حالة من

الفوضى والانفلات. وهذه الفوضوية تتسبب في تفكك الروابط، واستهلاك الجهود والأوقات، وتنمي عدم الانضباط في النفوس. قد نلتمس العذر لأولئك الذين تضطرهم ظروف عملهم أو دراستهم الجامعية للخروج عن نظام الأسرة أحياناً، فالطلاب يتفاوتون في مواعيد الخروج إلى المدارس والجامعات، ذكوراً وإناثاً، والموظفون والعمال وأصحاب المحلات ليسوا سواء في الغدو والرواح، ولكن ليست هذه الحالة عند الجميع وليست دائمة، إنها مؤقتة أو محدودة، ولكن يجب أن يعودوا للنظام فور انتهاء تلك الظروف. فلا بد من شيء من الحزم في تنظيم الأوقات والواجبات والعادات وتقويم السلوك غير المنضبط، وتعزيز السلوك الطيب المرغوب، وإلا انفلت زمام البيت وعمت فيه الفوضى. فلا أجمل ولا أطيب من اجتماع العائلة الواحدة على مائدة الطعام، واستغلال مثل هذه الاجتماعات الأسرية المباركة لتعزيز الترابط العائلي، والتعرف على الأحوال والحديث الدافئ الهادئ، والمناقشات المفيدة. وعلى رب الأسرة الحزم في ضبط مواعيد الخروج من المنزل والعودة إليه، وتدريب الجميع على الاستئذان عند الخروج، وخصوصا الصغار ـ صغار السن أو صغار العقل ـ الذين يخشى عليهم [١].

(١٨)

ملاحظات مهمة

فيما يلي ملاحظات مهمة، ذات جوانب نفسية واجتماعية ودينية، تتعلق بالسلوك العائلي، ينبغي أن يلم بها كل من الزوجين الكريمين، حيث يمثل الوعي بها ضرورة اجتماعية لتدعيم أركان الأسرة وسلام البيت [٢]:

---

(١) محمد صالح المنجد: ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت، ص ٤٤ بتصرف.

(٢) انظر: ١ ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٢٣٢، ٢٣٣.=

١ـ المرأة قبل الزواج مسؤول عنها أبوها وأمها وأخوها ومن يعولها ، وبعد الزواج مسؤول عنها زوجها ، فإن عصت الله بعد الزواج وجب على أبيها وأمها وإخوتها نهيها عن المنكر ، ومقاطعتها إن أصرَّت على المعصية كترك الصلاة والتبرج ومخالفة القيم والآداب الاجتماعية ، ووجب على زوجها تأديبها وإجبارها على ترك المعصية ، من الوعظ ثم الهجر ثم الضرب .

٢ـ إن المرأة بعد الزواج لا يجوز شرعاً أن يتدخل أبوها وأمها وأقاربها في الشؤون الخاصة بها مع زوجها على سبيل الإفساد بينهما . إن ذلك حرام عليهم . ولو صدر أمر من أبيها وأمر من زوجها ، فإن الواجب عليها تنفيذ أمر زوجها ، لأنها انتقلت إليه وصار أمرها بيده دون أهلها .

٣ ـ خدمة المرأة لنفسها وزوجها تابعة لعادة أهل بلدها ، ومهما يكن من أمر فإن أحداً لم يقل : إن الزوجة عليها أن تخدم أهل زوجها ، وإجبارها على خدمتهم حرام وظلم ، سواءً كان المخدوم أبا الزوج أم أمه أم أخاه أم أخته . وكثيراً ما نرى الزوجة تخدم عائلة زوجها البالغ عدد أفرادها عشرة أو أقل أو أكثر حتى تستهلك فلا تصلح لزوجها ، ومع ذلك نجد أم الزوج تسلط زوجها عليها وتدبر لها المكائد .

٤ـ من حق الزوجة أن تسكن في بيت أو مسكن لا يشاركها هي وزوجها فيه أحد ؛ لأن حرية المرأة مع زوجها . وحياتها معه أمر يخصهما ، فليتنبه الناس لذلك ، فإن أكثر الناس يعيش في خطأ وبعد كبير عن الإسلام .

= ٢ ـ الحلال والحرام في الإسلام ، ص ٢٠٨ .
٣ ـ سر الحياة الزوجية السعيدة ، ص ٩٨ .
٤ ـ فن التعامل مع الأزواج ، ص ٢٨ ، ٣٢ .

٥ـ احترام الزوجة أهل زوجها أمر واجب عليها ، مثل أبيه وأمه وجده وعمته وخالته . وهم شرعاً أحق بماله وأولى به من أهل زوجته ، فمحاولة الزوجة إقحام أهلها على زوجها ، وإبعاد أهله عنه يعتبر جريمة تعاقب الزوجة عليها في الدنيا والآخرة ، وعلى الزوج أن يكون في كل أموره رجلاً لا تركبه المرأة ولا تسخره فيما يغضب الله تعالى ، مما يجعله سخرية بين الناس .

٦ ـ المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدة العدة :

الواجب في شريعة الإسلام أن تبقى المطلقة في بيتها ـ أي بيت الزوجية ـ مدة العدة ، ويحرم عليها أن تخرج من البيت ، كما يحرم على الزوج أن يخرجها منه بغير حق ، وذلك أن للزوج ـ طوال مدة العدة ـ أن يراجعها ويردها إلى حظيرة الزوجية مرة أخرى ـ إذا كان هذا هو الطلاق الأول أو الثاني ـ وفي وجودها في البيت قريباً منه إثارة لعواطفه وتذكيره له أن يفكر في الأمر مرة ومرة قبل أن يبلغ الكتاب أجله ، وتنتهي أشهر العدة التي أمرت أن تتربصها استبراء للرحم ، ورعاية لحق الزوج وحرمة الزوجية ، والقلوب تتغير ، والأفكار تتجدد ، والغاضب قد يرضى ، والثائر قد يهدأ ، والكاره قد يحب .

٧ ـ يجب أن يدرك الزوج أنه من الطبيعي والبديهي أن تتعلق الزوجة ، ولا سيما في بداية حياتها الزوجية ، بأسرتها تعلقاً كبيراً ، وخاصة بأمها ، باعتبارها نشأت وترعرعت بين أحضانها ، وفي كنفها ، وحكت لها من الأسرار والمتاعب ما تعجز عنه المصارحة لأحد . فهي بالنسبة لها حضنها الدافئ ومستشارها الأمين . ولذلك لا تستطيع الزوجة الصغيرة ، أن تتصرف في شؤونها وشؤون زوجها إلا على ضوء ما تمليه عليها والدتها ، وعلى الزوج ألا يضيق ذرعاً بمثل هذا السلوك ، بل يحاول

بالتدريج أن يجعلها ذات شخصية مستقلة عن الآخرين.

٨ ـ بانتهاء الشهور الأولى من الزواج تهدأ العواطف الجياشة والشهوة الجنسية العارمة، ويصبح كل شيء رتيباً، وتبقى شخصية الزوجة هي العامل الأساسي لتقرب زوجها إليها، والاحتفاظ به في المنزل في معظم أوقات فراغه. والزوجة الذكية هي التي تدرك أن العواطف والجنس ليس كل ما يريده الرجل، فالرجل يحتاج إلى عقل واع إلى جانبه، يحكي له ويستمع إليه ويسأله ويجيبه، ويحتاجه في النصح والتوجيه، وتبادل الرأي والمشورة. ولذلك لما سئل أحدهم عن سر بقائه في البيت وتلهفه للعودة إليه قال: إنني أعتبر ذهابي إلى المنزل متعة، لثقتي بأنني سأجد هناك من يتفهمني ويستمع إلي استماعاً واعياً عطوفاً. ويعني بذلك زوجته.

٩ـ الرجل يسعى دائماً بنزعته الفطرية إلى أن يكون الطرف القوي المسيطر في العلاقة الزوجية، وعلى الزوجة أن تتفهم هذه النزعة الطبيعية وتتقبلها، ولا تحاول أن تكون كالرجل نزاعة للسيطرة والقوة، فإن ذلك من شأنه إدامة الصراعات وتوتير جو الأسرة.

١٠ـ لا يوجد زواج بدون مشكلات وخلافات تظهر بين الحين والآخر، فذلك أمر متوقع لأنه مهما تقاربت ميول الزوجين وطباعهما، فإنه سيبقى هناك بعض الاختلاف والتباين في وجهات النظر بينهما، بحكم اختلاف نشأة كل منهما وبيئته التي نشأ فيها، ولكن التقارب بين وجهتي النظر والطباع والسلوك يأتي تدريجياً، ويزول الخلاف مع الوقت. حيث يحتاج الأمر إلى فترة ما ليتم التواؤم والانسجام بين الزوجين.

١١ـ إن أكثر ما يسيء للعلاقة الزوجية هو تشبث المرأة برأيها، فلتحذر النساء من هذه النزعة، وإذا كانت إحداهن ترى بأن زوجها على خطأ بتمسكه برأيه، فلا مانع من أن تجاريه وتشعره أن كلمته مسموعة

فالعشرة الطيبة تقتضي تقبل آراء الآخر، سيما وأنه صاحب القوامة، حيث لا يمكن أن تستمر حكومة برأسين.

١٢ــ هناك أزواج كثيرون يحاولون تسوية خصوماتهم على مائدة الطعام وبحضور الأطفال، أو ينغمسون في نقاش حاد عندما يأوون إلى الفراش، أو يثير أحدهما خلافات في غاية الأهمية في اللحظة الحرجة، أي اللحظة التي يكون فيها الطرف الآخر مستعجلاً يريد أن يهرع إلى عمله، أو قبل قدوم الضيوف بدقائق. إن الاستشارة الذاتية تتطلب جواً عاطفياً يحتاج إلى النقاش الهادئ والتفكير السليم، وخلوة كافية للتحدث بصراحة وحرية تامة، مع وقت كاف لمتابعة المناقشة، حتى يتم الوصول إلى خاتمة عقلانية.

١٣ـ إن الخلاف الأول في الحياة الزوجية وطريقة حدوثه وأسلوب حله، سيكون هو النموذج الذي تتكرر على منواله الخلافات اللاحقة، ولذلك فعلى الزوجين الواعيين أن ينتبها لهذا الأمر، وأن يحاول كل منهما إطفاء شرارة الخلاف في مهدها دون توسيع دائرة الخلاف. وأن يكون الاعتذار وقبول الاعتذار هما البلسم الذي به تشفى الجراح، والماء البارد الذي به تطفأ شحنة التوتر وترطب القلوب.

١٤ ـ «لا يجوز لامرأة هبةٌ في مالها إذا ملك زوجها عصمتها إلا بإذن زوجها»[١]. ولا يعني ذلك أن لزوجها الاستبداد بها والسيطرة على أموالها والتحكم بها، فذلك ليس من حقه ولا يقول به أحد، ولكن هو من باب تكريم المرأة لزوجها وتقديره، كما لا يعني ذلك أنه سيرفض دائماً تلك الهبات، بل للزوجة أن تنفق وتهب كيفما شاءت ولكن بعلمه وبإذنه.

---

(١) رواه الحاكم.

خاتمة وتوصيات عامة

في ضوء ما سبق من أسباب تبعث الخلاف بين الأزواج ، وتهدد الحياة الزوجية بالخطر ، وربما تتشرد الأسر وتخرب البيوت ، فإننا نرى في العمل بالتوصيات التالية[١] تلافياً لكثير من الخلافات التي يمكن أن تحدث ، وإزالة لأسباب تلك الخلافات :

أولاً ـ إدخال مناهج تربوية جديدة تدّرس ضمن المباحث التي يدرسها الطلاب في المرحلة المتوسطة والثانوية ، تكون مستقلة بذاتها أو موضوعات محددة تدرّس ضمن مناهج الاجتماعيات أو التربية الإسلامية تحت عناوين دالة على مضمونها ، تتناول الخلافات بوجه عام من حيث أسبابها المختلفة وآثارها على الفرد والمجتمع وطرق حلها . . إلخ ، مشفوعة بقصص تاريخية وأمثلة واقعية ، كالمنهج الذي سرنا عليه في هذا الكتاب ، ويكلف الطلاب ـ كجزء من النشاط الصفي أو البيتي المرافق لها ـ باستحضار وجمع قصص واقعية وخيالية وقطع أدبية تتحدث عن الخصام وكيفية الإصلاح بين المتنافرين ، وكتابة موضوعات الإنشاء بحيث تتناول مثل هذه الأمور . وكذلك تحفيظ الطلاب قصائد شعرية وقطعاً أدبية تمجد الصلح وتدعو إليه ، وتنبذ الخصام والخلاف وتدعو إلى التقارب والتفاهم والتعقل عند الخلاف ولا سيما إذا كان الخلاف ، بين الاخوة والزملاء والجيران والأزواج . ثم عرض نماذج معدة من الخلافات وتحليلها بمشاركة الطلاب ، وتحديد أطرافها الظاهرين والمستترين (المحركين الفعليين

---

(١) وردت معظم هذه التوصيات في كتابنا «فن إصلاح ذات البين» ص (١٦٠ ـ ١٦٤) .

للخلاف) إذا كان هناك أطراف مستترة تقف وراء خراب البيوت ولها مصلحة في ذلك ، ومناقشة تطور الخلاف ، وتحديد أين وقع الخطأ وكيف يكون التصرف السليم في كل مرحلة من مراحله ، واقتراح البدائل العملية لذلك ، وتوقع أثر كل بديل على الموقف أو المواقف المختلفة .

ثانياً ـ جعل موضوع الأسرة وبناءَها وتطورها ومشكلاتها وتفاعلها مع المجتمع مادة إلزامية أو مساقاً يدرّس في الجامعات والكليات كمتطلب إجباري للتخرج ، بحيث تتناول هذه المادة أو ذلك المساق الموضوعات المشار إليها في البند السابق مع مراعاة أسلوب التدريس المشار إليه كذلك .

ثالثاً ـ تكليف الأدباء والكتاب والمربين بإعداد نصوص تربوية تثقيفية تعالج المشكلات الاجتماعية المتكررة التي يكون موضوعها النزاع الذي يحدث بين الجيران والأصدقاء وزملاء العمل والأزواج والطلاب ، وإخراجها بصورة أعمال فنية تلفزيونية وسينمائية بحيث يتم إعدادها إعداداً جيداً ، وبثها باستمرار في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، وتسجيلها على أشرطة الكاسيت والفيديو وأقراص الحاسوب وغيرها ، وتوفيرها للمواطنين بأسعار تشجيعية .

رابعاً ـ إصدار تشريع رسمي خاص على مستوى الدولة تلزم فيه الشباب المقبلين على الزواج بحضور دورات إلزامية في مراكز تدريبية خاصة تعدها الدولة لهذا الغرض ، يتدرب فيها هؤلاء الشباب على كيفية بناء الأسرة وإدارتها وكيفية التعامل مع الزوجة والأولاد والجيران . على ألا يمنح الشاب (ذكراً أو أنثى) وثيقة الزواج إلا بعد الحصول على شهادة إنهاء الدورة التمهيدية للأسر الجديدة . التي تتناول موضوعاتها الأمور التالية :

- آداب الخطبة والزواج .
- مبادئ الاقتصاد المنزلي .
- موضوعات طبية وقائية وعلاجية .
- كيفية التعامل مع المولود الجديد .
- آداب الجماع .
- كيفية معالجة المشكلات الزوجية .
- كيفية التعامل مع أهل الزوجين .
- معالجة النشوز .
- التعامل مع الجيران .
- التدريب العملي على الإصلاح .

وإذا كان البعض يجد غرابة في طرح مثل هذه الفكرة ، فذلك ليس لأنها صعبة التطبيق ، أو لأنها من البدع التي يجب ألا نقربها ؛ بل لأنها جديدة على ثقافتنا ، غريبة في بيئتنا ، رغم أهميتها وضرورتها . وقد تزول الغرابة بعض الشيء إذا علمنا أن الصين قد سبقتنا إلى تطبيق هذه الفكرة عملياً . ولعل أحدث المدارس التي أنشئت لمثل هذه الغاية هناك ما تم افتتاحه في «بكين» العاصمة الصينية لتعليم أخلاقيات الحب . . وتقديم النصائح للشبان المقبلين على الزواج . . وإعطاء مهارات التعامل مع الطرف الآخر من أجل إقامة أسرة سعيدة .

وإذا كان ثمة صعوبة في تطبيق هذه الفكرة في بلادنا الآن فلا بد من تذليلها في مستقبل الأيام . ولكن ذلك لا يمنع ابتداء من إعداد كتاب يتناول الموضوعات المشار إليها ، بحيث يكون جيد الإعداد والإخراج ، مبسط الأفكار ، شامل الموضوعات ، تعده لجنة مختصة من كبار العلماء والمختصين ، وتوفره الدولة بأسعار مناسبة للجميع . على أن يلزم المقبلون

على الزواج باقتنائه ومطالعته وتقديم امتحان فيه قبل الدخول الشرعي. ذلك أن معظم المشكلات الأسرية والاجتماعية وما تفضي إليه أو تتمخض عنه سببها الجهل بهذه الموضوعات الحيوية. وكان يمكن تجاوز تلك المشكلات أو تجنبها لو وعى كل من الزوجين دوره في الأسرة ودوره في الحياة، وعرف كيف يتحرك في ظل أسرة مستقلة يتحمل جزءاً كبيراً من مسؤولياتها.

أما الأمي الذي لا يستطيع القراءة والكتابة فيمكن بهذا الأسلوب إلزامه بالتعلم ومحو أميته قبل أن يقدم على الزواج، وذلك بجعل إجادة القراءة والكتابة كحد أدنى شرطاً من شروط الزواج. ذلك أن العلم مطلوب شرعاً وضرورة. ولن تكون الحياة سعيدة مع الجهل، وليس من المقبول أن نلج القرن الحادي والعشربن الميلادي وبيننا أميون. وإذا علم الناس بجدية الحكومات في هذا الأمر، سيندفع الشباب بكل حماس للتعليم .. فالعروس لا تقبل الجاهل، والعريس يتردد في الارتباط بأمية. وبذلك تكون الحكومات قد قامت بواجبها بمحو الأمية بأيسر سبيل.

خامساً ـ إنشاء وقف إسلامي من أجل الإصلاح بين الخصوم يسمى «وقف الصلح أو وقف الوئام» أو أي اسم دال على الهدف منه ـ تديره هيئة عامة ذات إدارة مستقلة مالياً وإدارياً ولها قانون خاص، تعمل على تشكيل هيئات تطوعية في كل بلد أو حي أو مسجد، يكون من أهدافها الإصلاح بين الأزواج، ونشر الوعي الصلحي بينهم عن طريق (الكتاب، النشرة، المقالة الصحفية، القصة، المحاضرة، الأشرطة الصوتية المسجلة، أقراص الحاسوب.. إلخ) وتكون مواردها من التبرعات والهبات أو ما يخصم من مبالغ يسيرة من ضريبة الدخل أو أية ضريبة أخرى تكون مخصصة لهذا الغرض باسم ضريبة الوئام، تحدد في ضوء الحاجة أو مقدار ما ينفق منه في سبيل الإصلاح. والاستفادة من سهم الغارمين ـ وهو أحد

مصارف الزكاة الثمانية ـ في تعويض أهل الإصلاح الذين أنفقوا أموالهم في سبيل إصلاح ذات البين.

سادساً ـ إرشاد الناس إلى اتخاذ تدابير وقائية عملية مانعة للخلافات والصراعات بينهم منها على سبيل المثال:

ـ تأكيد معاني الاتفاق والوئام والسلام وغرس قيم الترابط والتماسك والوحدة بين الناس، وذلك بمختلف وسائل التوعية والإعلام المشار إليها في البند السادس.

ـ نصح الأقارب ولاسيما الأخوة والأبناء المتزوجين بعدم السكنى في بيت واحد أو بيوت مشتركة بسور واحد أو مدخل واحد ما أمكن، لأن الإنسان بطبعه يحب الاستقلالية ومفطور على الحرية، ولا يحب أن يطلع أحد على خصوصياته، أو يكون محط الأنظار عند الدخول والخروج، والنساء غالباً لا يحبذن المنزل المشترك ولا سيما إذا كن غريبات عن العائلة الكبيرة، حيث لا يَجدْنَ الراحة النفسية إلا في بيت مستقل كامل الاستقلالية. وكثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية كان سببها التقارب في المسكن أو الاشتراك فيه. ومن هنا جاء قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مروا أبناءكم فزوجوهم وليبتعدوا».

سابعاً ـ إخراج نماذج الصلح والأساليب الفنية الموضحة في هذا الكتاب بصورة حلقات أو مسلسلات تلفزيونية، وبثها بين الحين والآخر ليتمكن من مشاهدتها الجميع.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

مراجع مختارة

١ ـ إبراهيم بدر شهاب . فن إصلاح ذات البين .
٢ ـ إبراهيم بن صالح المحمود . كيف تكسبين زوجك .
٣ ـ ابن عبد ربه الأندلسي . العقد الفريد .
٤ ـ حسن أيوب . السلوك الاجتماعي في الإسلام .
٥ ـ خالد سيد علي . صيد القلم .
٦ ـ صالح بن غانم السدلان . النشوز .
٧ ـ عايدة الرواجبة . سر الحياة الزوجية السعيدة .
٨ ـ عبد الجبار أحمد عبد الجبار . فن التعامل مع الأزواج .
٩ ـ عبد الله ناصح علوان . تربية الأولاد في الإسلام .
١٠ ـ عبد المتعال الجبري . المرأة في التصور الإسلامي .
١١ ـ عفيف عبد الفتاح طبارة . روح الدين الإسلامي .
١٢ ـ ليندا . ل . دافيدوف . مدخل علم النفس .
١٣ ـ محمد بن صالح المنجد . ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت .
١٤ ـ محمد بن عثمان الذهبي . كتاب الكبائر .
١٥ ـ محمد رشيد العويد . قالت لي جدتي .
١٦ ـ محمد عقلة . نظام الأسرة في الإسلام .
١٧ ـ محمد عقلة . تربية الاولاد في الإسلام .
١٨ ـ محمد قطب . الإنسان بين المادية والإسلام .
١٩ ـ محمود مهدي الاستانبولي . تحفة العروس .
٢٠ ـ مروان القيسي . دراسات في الأسرة في الإسلام .
٢١ ـ مصطفى عبد الواحد وآخرون . الثقافة الإسلامية .
٢٢ ـ ناصر بن سليمان العمر . مقومات السعادة الزوجية .
٢٣ ـ يوسف القرضاوي . الحلال والحرام في الإسلام .
٢٤ ـ محمد عثمان الشخت . المرأة المثالية في أعين الرجال .
٢٥ ـ مجلة المجتمع الكويتية ع ١٤١٦ تاريخ ٥/٩/٢٠٠٢

المحتويات

تنبيه :

كل ملاحظة أو اقتراح يتعلق بمضامين هذا الكتاب سينال كل ترحيب ، ويرجو المؤلف من الأخوة القراء موافاته باقتراحاتهم وملاحظاتهم على العنوان التالي :

الأردن ـ المفرق ص . ب (١٠٨) أو تلفاكس ٠٢/٦٢٣٢٥٣٨

صدر للمؤلف :

١ ـ معجم مصطلحات الإدارة العامة / ١٩٩٨ .

٢ ـ زاد المربين من القصص التربوي الهادف ، طبعة ثانية/ ٢٠٠٢ـ دار الأعلام .

٣ ـ فن إصلاح ذات البين / ٢٠٠٢ .

٤ ـ سلام البيت / ٢٠٠٢ ـ دار الأعلام .

تحت الطبع :

١ ـ رواد الفكر الإداري .

٢ ـ مبادئ الاقتصاد الجزئي .

٣ ـ المنار في تعليم العربية للأطفال .



هذا الكتاب

الأسرة هي نواة المجتمع ، والمحضن الطبيعي الذي تمتزج فيه عواطف الحب والرحمة ، وفيه يجد الزوجان ضالتهما من الأنس والرغبة والاستقرار النفسي والعاطفي ، كما أنها المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأطفال مبادئ العلم والأخلاق والتربية والتوجيه .

فلذلك كان لزاماً على ركني الأسرة - وهما: الزوج والزوجة - أن يعملا معاً ويتعاونا على إيجاد بيئة ملؤُها السلام والأمان والراحة النفسية لهما ولأولادهما ، والابتعاد قدر الإمكان عن المزاجية المتأرجحة ، والعمل على حلّ الخلافات بهدوء ورويّة ، وذلك يتطلب منهما أحياناً أن يتنازل أحدهما عن بعض ما يراه من الآراء أو وجهات نظر ، مع معرفة كل واحد منهما ما يترتب عليه من واجبات ، وما له من حقوق ، من غير تزيُّد أو تجبُّر ، والله الموفّق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الناشر

دار الأعلام للنشر والتوزيع

الأردن - عمّان - العبدلي - مركز جوهرة القدس - الطابق ٢ مكتب ٦٠٥
تلفاكس : ٤٦٥٧٤٦٨ - ص.ب ٩٢٧٥٦٣ عمّان ١١١٩٠ الأردن
E-MAIL : AL _ AALAM@YAHOO.COM